سعيد تقي الدين

تبلّغوا وبلّغوا

obeikandl.com

obeikandl.com

اذا لم اكن في بلادي منارا
ودفقة دم وانتصارا
فماذا اكون ؟
اذا لم اكن دربها الصاعده
وشعلتها الخالده
وموعدها وهي لا تشعر
ووثبتها وهي لا تشعر
فماذا اكون ؟
اذا لم افجر حياتي حبا
واحمل على مهجتي بلادي
وارصف وجودي دربا
لغزو الذرى ، للجهاد
فما انا الا خيال وحلم
وما انا إلا فراغ وطنّ

ادونيس (في أسره)

obeikandl.com

خارطة وحياة

هذه سوريه — بلادنا ·

غيرنا يطلق عليها اسم « الهلال الخصيب »

نحن نؤمن بها وحدة قومية اجتماعية . لها ولاؤنا المطلق النهائي الأول والاخير ·

انها احدى وحدات العالم العربي الاربع · الثلاث الباقيات هي : وادي النيل ، الجزيرة العربية ، والمغرب ·

هذه الوحدات الاربع تؤلف الجبهة العربية التي يجب ان تتسكر فيها قوة تسحق اعداءها . وان استطاعت هذه الجبهة، في مستقبل الايام، ان تتصهر في وحدة سياسية — نحن نرى انها مستحيلة التحقيق لانعدام مقوماتها — فليس منا من يسعى لهذه الوحدة ان لا تكون .

وهذه الجبهة العربية ، لبلادنا — لا لسواها — مسؤولية قيادتها . اذاً وقد انتدبتنا الحياة ، بما عتقت فينا من مواهب وركزت من قوى متفوقة ، بهذه المسؤولية فأولى واجباتنا في قيادة العالم العربي ان نفهم العروبة نقية صافية فقد اثبتت الحروب ان افعل المقاتلين هم من يفهمون ما من اجله يقاتلون . والعروبة هي شيء نقاتل من اجله ·

بلادنا مزقها ضعفنا ومزقها الاستعمار · علينا بالقوة ان نطرد الاستعمار ونتغلب على الضعف · والاستعمار هو صهيونية اغتصبت ارضنا ، ودول اجنبية احتلت او بسطت نفوذاً . ومن هذه الدول الاجنبية المستعمرة دولة تحاول السيطرة علينا بالتسلل الى نفوس مواطنينا ، شيوعية تفسدها ·

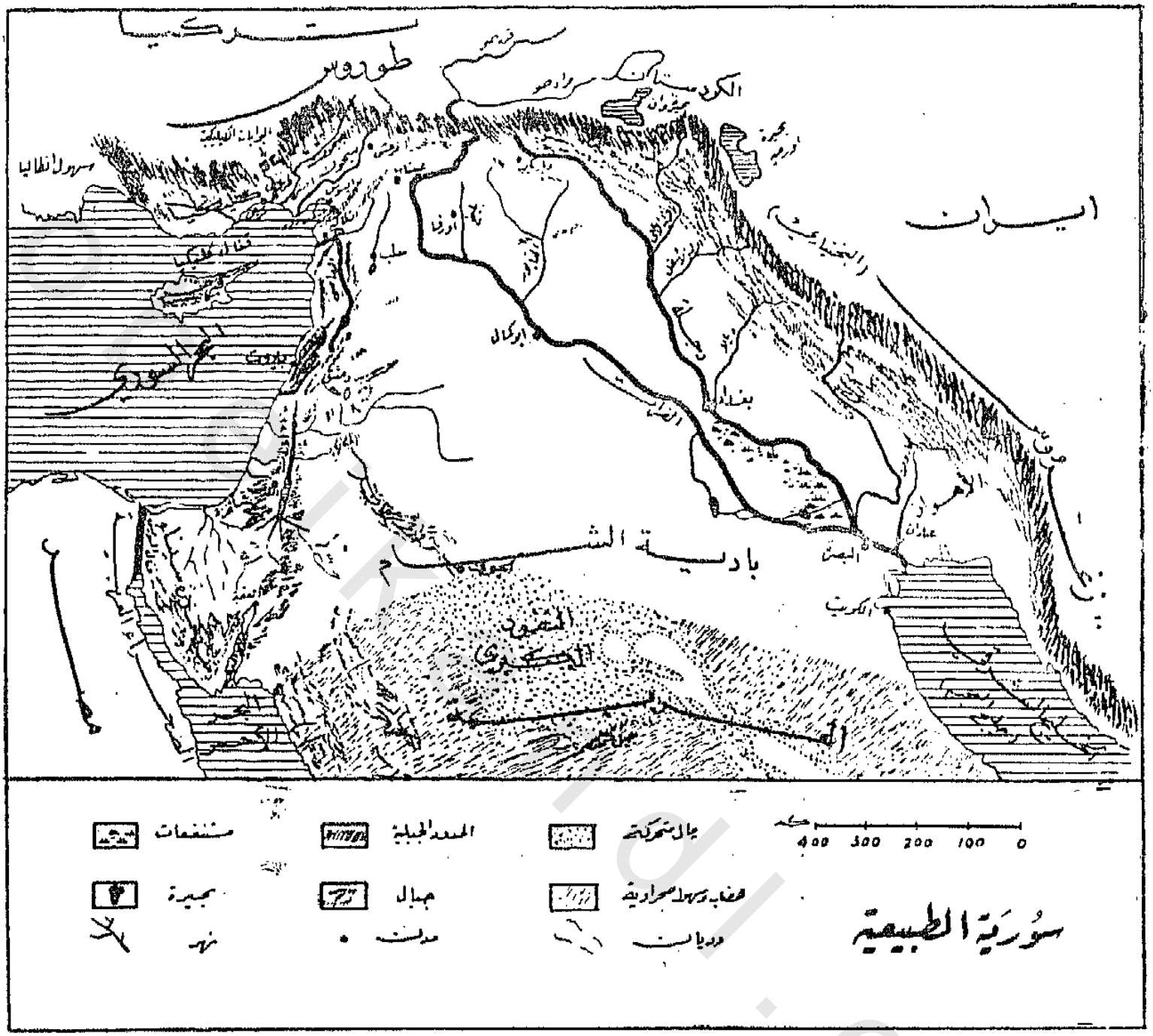

كانت بلادنا عبر اجيال طويلة ضعيفة ، ولكن القدرة الجبارة هي ابداً كامنة فيها تثور مبعثرة هنا وهناك براكين من عبقريات وبطولات . غير ان بلادنا عبر تاريخها الطويل ما كانت على الضعف الذي هي عليه اليوم ، بعد ان تمزقت. مهمة الحزب السوري القومي الاجتماعي ان ينقذ هـذه الامة بان يبعث قواها فتستعيد وحدتها . والقوة في جوهرها هي ايجابية بناءة .

هذه الخارطة تسمي وتحدد بلادنا . فهي اذن تسمي وتحدد حياتنا . فحياة اي منا ، وبلاده ، هما لفظتان لمدلول واحد . لهذا كانت هتفتنا وستبقى — تحيا سوريه .

فهرس

		صفحة
1	— قفص الشماع	3
2	— حين استجبت النفير	9
3	— وثبة نحو الضياء	15
4	— في اول مارس ولد الذي بعث الأمة	19
5	— أريد ان انشق فوح دمي	24
6	— حين تركب العدالة	41
7	— هذا مذهبي	49
8	— نحن نخاف التاريخ يا سمو الأمير	54

رفة جناح — خفق الأجنحة

9	— ما لك والأحزاب	65
10	— زحزح الصخر	67
11	— نقاط السطور	69
12	— اكتشاف	72
13	— در المعرفة وبلوطها	74
14	— مدرستان	77
15	— برسم الأجانب	80
16	— ثورة في التفكير	83

obeikandl.com

صفحة

17 — الجندي قائد 85
18 — اخبارية 87
19 — رفات تنتقل 92
20 — هذا النادي 94
21 — الجاهل الثاني 96
22 — هـذه دغدغة 98
23 — نكتة مستمرة 100
24 — البوابة 102
25 — صقيع يحرق 105
26 — لو اني صاحب الجلالة 107
27 — الفرق 111
28 — عجين البغضاء 113
29 — العيش والحياة 115
30 — انهيار وترميم 117
31 — طريق ضهر البيدر وطريق مرجعيون . . . 119

تبلغـــوا وبلغـــوا

32 — لو اننا نؤمن بالاغتيال 125
33 — حكاية دخولي الحزب 130
34 — جورج عبد المسيح 136
35 — اليد التي توقع الصلح مع اسرائيل 145
36 — امام الحزب سبيع سنوات 150
37 — مواطن الضعف في الحزب 155
38 — علاقة الرئيس شمعون بالحزب 160
39 — الجزيرة الغرقى 165

obeikandl.com

obeikandl.com

قفص الشعاع

بعد مئة سنة ، او خمسين ، سيطبق تلميذ التاريخ كتابه ويقهقه ، ثم يستعيد رصانته ويتساءل بألم : « أكانت بلادنا من الجهل والضعف بحيث وجدت في الحركة القومية الاجتماعية شيئاً غريباً ؟ »

ثم يتأمل ، رجاء ان يهتدي الى سر بقاء هذا الحزب وانتشاره وثبوته للصدمات وتغلبه عليها ، ويبحر ليستقري سبب تهاوي غيره من المنظمات والهيئـــات والتشكيلات ، ثم يعجب ان كيف يعقل ، وكل هذه ، كالحزب السوري القومي الاجتماعي تعبىء قواها من خزان الامة الواحد

فتندثر هي ويبقى هذا الحزب ، لا ليركد بل ليثور ويتفولذ ويقهر .

وقد يرتد دارس التاريخ الى تحليل غير هـــذه الحركة من الحركات المنقذة في حياة سوانا من الامم فيكتشف انها محاولة وثوب من هوة الى قمة ، ويلمس في جميعها العناصر الاساسية المشتركة الواحدة ، ويجد في قادتها ومؤسسيها ، كما يجد في انطون سعاده ، الصفات الغلابة التي تسم كل من يحق دعي زعيماً . ويجد في تلامذته من الصفات ما ميزت تلامذة سواه من اصحاب الدعوات . فيهم البطل ، وفيهم الجاهل المهووس ، وفيهم من سئم طول الطريق ، وفيهم الخائن ، وفيهم المرتد ، وفيهم من يحاول ان يشرد ليتزعم فئة اخرى . ولكنه لن يكتشف - تلميذ التاريخ - واحداً اعتنق عقيدة صاحب هذه الدعوة ولم تفعل في نفسه هذه الدعوة فتسمها بطابع لا يمحى .

وسيجد تلميذ التـــاريخ ان جموع هؤلاء التلامذة هم أسمى اخلاقاً ، وارهف احساساً ، واشجع قلباً ، واقل انانية وفوضى منهم قبل ان يدخلوا هذه المدرسة . وسيجدهم فريقاً منظماً تسودهم روح الفريق لا جمهرة اشخاص . وسيتعلم اذ يواكبهم في طريق الصراع ان لا يستفهم عن عددهم ونسبته الى عدد سائر المواطنين ، فدارس التاريخ لا يطول به الامر حتى يفقه ان العدد هو ضعف سلبي ان كان خلايا ميتة ولا يصبح العدد من عناصر القوة حتى يكون كهارب حياة . اذكروا فلسطين .

فاحزاب بلادنا ، ان استثنيت منها الحزب الشيوعي ساقت

عدداً من المواطنين ، واكثرهم مخلصون بانفعالية مستعجلة نحو اهداف قريبة ومطالب ملحة . فتراكضوا وتفرقوا . ذلك لأن هذه الاحزاب – بقطع النظر عن خطأ حوافز بعضها ، وجهل قادة البعض ، وخداع متزعمي البعض – اهملت ، لاستعجالها ، ترويض افرادها قبل ان ادخلتهم في السباق . فالحزب السوري القومي الاجتماعي ثبت في الميدان لأن افراده مروضون ، ولأنه في جوهره حركة تربوية ثقافية تفعل في الذات اولاً قبل ان تحاول الذات ان تفعل فيما عداها . لذلك ابطأت انتصاراتها . وان لم يكن لسعاده ، مؤسسها ، من فضل يخلده لكفاه انه لم يخدع نفسه فلم يرتض بنصر قريب فرعي عن النصر الكبير الشامل . والقرائن في كل يوم تتوفر على انه كان موقناً في نفسه على انه سيكون وقود مرجل الحركة فجاء موته شرطاً لانتصار قضيته .

وليس ادل على ان هذه الحركة الثقافية قد روّضت نفوس معتنقيها وتوجهت تستهوي فضائلهم – ومن ابرز الفضائل المثابرة والاستمرار – من الظاهرة التي تثبت ان فاعلية الحزب هي على اشدها في الازمات . فالتبرعات لا تكون ضخمة ، والتضحيات لا تكون كبرى ، ولا التوتر النفسي على ذروته الا حين يواجه الحزب ، كما هو يواجه اليوم ، محنة كبرى . فلو ان الحزب طغت عليه الملعنه المشرقية – ما شاع انه ذكاء وسياسة – لانهزم اعضاؤه الى ملاجىء التستر والحيل وجنحوا عن القتال العلني في ساحات التحدي .

وهـــذه الحركة – ككل حركة سواها – تشكو وتنعم

وتضعف وتقوى بأن بين المبشر بهـا وتلامذته هذا الاوقيانوس الواسع من الفرق في عمق الايمان ، واتساع آفاق النظرة الشاملة ، والمناقبية ، والثقافة . فقوتها ان دستورها ، وأقوال زعيمها هي المرجع الذي يضبط ويحفز . وضعفها انهـا ما انبثقت من ذاتية جنودها ، فأمست في خطر عبودية التقليد والتردد والاتكالية على ماقال معلمها وفعل وارتأى . ولكن من الواضح انها نجت من هذا الخطر ، ومن خطر تعبد البطولة ، وتجاوزت بنجاح ادق مراحلها اذ انها بعد مصرع زعيمها ، وخلال نقاهة من جراح خالها المجرمون ميتة لما مت قواها وانبثقت فيها ، فيما كانت تستشفي ، قوة الابداع متجسدة في كلمة خطابية القيت ، او عبارة نثرية كتبت ، او اغنية من قصيدة نظمت ، او لحناً جديداً انشد ، فتقلصت آفاق ابعدت بين المعلم والتلميـذ وضاق ذلك الاوقيانوس ، ففي مجال البطولة الجسدية مثلاً وهو اقصر اشواط الحياة واصعبها ، تساوى بعض التلامذة بمعلمهم . هكذا نرى ان الايمان بنجاح هذه الحـركة ليس مصدره طبيعة التفاؤل بل انه حقيقة يراها كل من راقب زحف الصفوف جبهة متحدة نحو الافق الذي يبدو في كل يوم اقرب فأقرب .

كنت ذات يوم انتزه وصديقي الدكتور فؤاد صروف ونحن نتحدث . وفجأة وقف صروف وبلهجة فيها هلع ، وبقلـق من يطلب تأكيداً من صديق يعكس ما به هو مقتنع باح لي : «انني اشعر بخيبة في الحياة لانني لم ابدع شيئاً . فأنا لم انظم قصيـدة ، ولا خلقت قصة ، وما اخترعت آلة » .

اجبت وما كنت احاول التعزية ولا الموعظة المِنْفَوقيّة :

« انك لم تستنبط شيئاً ، وقد لا تكون مواهبك قوة او قمم ، غير ان في مجموعة كفاآتك ، وقد لا تبدو غير عادية ، ما يجب ان يطمئنك الى انها بنت لك عشاً في السقف . »

في مبادىء الحزب السوري القومي الاجتماعي وضوح وبساطة ورتابة تستهوي الرجل العادي مثلي الذي ليس له ولع بالنظريات والاراء المعقدة والذي يرى ان ليس لبلاده ان تنغمس اليوم في هذا الترف العقلي والذي كل همه ان يصح ويتوفر تطبيق هذه المبادىء حتى تمسي فعالية في الحياة ، وجهاز نهضة تحررية . وفي هذه الجمهرة من المبادىء وهي في ظاهرها عادية عظمة . غير ان فيها كذلك من العمق والفلسفة وعلوم السياسة والاقتصاد والاجتماع ما يتحدى المفتونين بهذه المواضيع . ولكن هؤلاء المفتونين هم بعض نكبات امتنا اذ انهم يختارون من نظريات العقيدة القومية الاجتماعية اهدافاً يصوبون اليها مدفعية الكلام ويتخذون من سفسطات المنطق ذريعة لتخلفهم عن موكب الحياة الفاعلة . « انا فوق الاحزاب » وان بلادنا وهي على ما هي عليه من الضعف تقول لمن ليس هو في حزب « ما انت فوق الاحزاب — تحتها بكيلو مترات » .

تاريخ هذه الحركة ما كتب ولن يكتب . قد يدون البعض احداثها وحوادثها . ولكن هذه الحركة تزوبع في صميم نفس المواطن ، فيأتي تفاعلها بقدر عدد معتنقيها وأمزجتهم وأجهزتهم العقلية والجسدية والروحية ، ويتجسد هذا التفاعل

بليون اثر وصورة وانفعال وعمل . فكيف لأي ان يسجل هذا او يرويه . وان اعتبرت كيف تحدّت هذه القوة ، بالاقناع والتبشير ، تحجرنا وضعفنا وخوفنا واوهامنا سلباً وايجاباً ، هدماً وبناء ، تحققت ان المواطن حين ينضم الى هذه الحركة يجترح عجيبة .

الصفحات التي تقرأ تدوّن بطريقة عابرة تجاوب نفسي بعد ان تجندت . واني لأشعر انني اجني على الحقيقة اذ أدون ما فعل الايمان في نفسي اذ اقفص هذا التجاوب بين دفتي كتاب او الف كتاب .

حين استجبت النفير

ما أنا بالمتمرد على القوانين ، ولا بالذي يعصاها .

ما دامت السلطـــات لا تعترف بالحزب السوري القومي الاجتماعي ، فما انا من اعضائه .

غير ان الحكومة اصدرت مرسوماً يحل الحزب ، ولا يحل العقيدة ــ وهذه هي الايمان الذي لا يُسجن ولا يُسحق .

لقد انفقتُ ، بعد عودتي من المهجر ، ما يقرب من سنوات اربع ادرس الناس ــ اعمالهم لا اقوالهم . وظفرت بصداقات حميمة مع قادة احزاب وجماعات ، ورجال عاديين وغير عاديين ، ورسميين وغير رسميين ، من مختلف الثقـــافات ، والغباوات ، والادعاءآت ، والطبقات والطوائف .

وحدقت بهذه المواكب السائرة على الدروب ببصر جهدت ان يكون متجرداً .

فرأيت المواطنين وقد صاروا يُكالون احمـــال بوسطات ، ويستعملون كطوائف النوَر ــ للرقص ، للعدا ، للقواص ، للفرجة .

واصغيت الى المصلحين يحركون ألسنة تنطلق بالحلاوة ، فيما تبطنها السموم .

ولمست الرجعية في معسكرين تعاهدا في ميثـــاق ، هو في جوهره خيانة في التفكير ، اذ انه اعتراف باننا أمتان لا أمة واحدة .

وتطلعت الى هذا الكرنفال يمثّل فيه الحواة والمشعوذون والمهرجون ، وتحلّق في هوته الخفافيش ، وتروج فيـه البضائع المغشوشة من مخلفات الاستعمار ، ومن مصانع الزيف التي شيدت اخـــيراً .

واعتبرت كيف نمت الحياة وترهلت العقـــائد ، وكيف صبـغ الجهل ـ الطائفية من عناصره ـ والجشع (الترف من اسبابه) كل عمل وكل تفكير .

واستعرضت المنظمات والاحزاب :

فاذا هنالك عروبة هي ، حين تنقى ، طقطقة مسبحة ، وفناجين قهوة ، وتندر بطرائف بالية ، ونـكات هرمة ، ومحاولة لعصر قنينة فارغة ، وشيزوفرنيا ، ذلك النوع من الجنون الهادىء اللذيذ إذ ينطوي المصاب على شخصيته ويبايع نفسه ملكاً في مملكة الاحلام والاوهام .

وهي ، أي العروبة ، في فريق ثان ، كبريت من التعصب الأكال .

واذا هنالك لبنانية ، حين تصفو ، تتلاشى اغنيـة في موّال عتابا ، وتذوب نشوة في كأس عرق ، وقـــد تتصلب بطولة

معكوسة في ضربة عصا ، او تتجسد خنوعاً في وفد ينحدر لتهنئة وزير ، وتشرئب ثورة كاسحة في تلغراف احتجاج على شاويش المخفر . هؤلاء هم قرويو ضيعة يدّعون انهم مواطنو أمة .

وهي ، هـــذه اللبنانية ، إذ تهكر وتموج ، تمسي بطولة في معارك ما حدثت ، وكركرة الماء في اركيلة ليس فيها تنباك ، وشوكة تصوب الى عين الجار ، فيما يقال انها سيف في وجه الغريب .

ثم هنالك عقائد اجنبية ، احداها الشيوعية ، وهي الظـــل الاسود للغيمة الحمراء العالقة في سمائنا مترقبة اللحظة الحاسمة كي تنفجر وتنهمر ناراً ودماراً وكفراً وجرائم . يمرح في عتمة هذا الظل الاسود جماعة من المهووسين ، والمأجورين ، والناقمين ، وفئة مخلصة جربت ما توهمته مليحاً فوجدتـــه قبيحاً ، فجاءت تجرب هذا القبيح أمـــلاً بان تجده مليحاً ، فتعلقت بهذا القطار المسرع نحو الهاوية .

وفي الزمن الاخير ، قيل لفتى انـــه نبي ، فراح يفتش عن رسالة ، ويلملم بخرقة مرقعـــة من مختلف الانسجة والامزجة ، تمتص ما تسرب من براميل العقائد ، ما تفسخ منها وما تكسر ، سائلاً عديم اللون والطعم والفعالية ، ولكان عديم الرائحة لولا ان رُشت عليه حفنة من بهارات الهند وفلافلها . هـــذا الخليط من السوائل صبّه فتانا في قالب اقطاعية وبلبلة تفكير ، ونادى بـــه على الناس انه اشتراكية تقدمية تكفل الشفاء من الامراض جميعها وقد يكون اقرب الاشياء التي تشابهها كيس الخيش الذي نستورده من الهند ، والذي لا يقف إلا حـــين يمتلىء بمحصول غريب عن

وعائه ، على ان في اعلاه من الشيوعية زيجا احمر .

وفي هذا البلد منظمات كصواني المعابد يطاف بها لاستجداء المال ، وغيرها لاستجداء النفـــوذ ، وتشكيلات رجعيـــة جديدة ، كلها ثقوب مستحدثة في غربال متهرىء عتيق .

هذا والشعب في نقمته ، متفرق في ركدته وجهـوده . فمنهم من يرفه عن نفسه اذ يتثاءب في مقالة واعظـة ، أو مَنْ يفرج عن كربته بشتيمة ، ومنهم من يبرىء ذمته بالدعوة الى مساعـــدة الفقراء والمظلومين ، فيما هو ينتعش من تخمة لينغمس في تخمـة ، ويفرغ من عدّ ارباح صفقة ، ليرتب ارباح صفقة .

ومنهم من يهمهمون ويهمون ، ولا يعزمون ولا يفعلون .

ومنهم المسرف في العويل والصهيل يحسبها للجهاد نفيراً

ومنهم من تطلع الى ما تحت سريره ، فلما أمن أن ليس هنالك ما يخيفه ، أوصد الباب ونام قريراً .

ومنهم جماعات لم تتحرر بعـد من غريزة البهائم ، فهي تسير خلف كل من ارتفعت اذناه عن القطيع وعوى امامه .

ورُبة باخرة دوى صوت ربانها ، وازدهى ملاحوها ، وشعّت نوافذها ، وضخمت مداخنها ، وغاصت في وحـــول المفوضيات والجاسوسية مراسيها .

غير ان جمهور هذه الامة نبيـل يتوق الى الكبر ، والنظام ، والحرية ، والحق ، والقوة ، والعدالة الاجتماعية .

ولقد استجاب الله لصلوات هذه الامـة ، فظهرت في الشرق — وقد اقتصرت رسائـل الشرق حتى اليوم عـلى الروحانيات —

لأول مرة ، عقيدة مادية روحية ، قومية اجتماعية ، واضحة الهدف ، والموحيات ، والوسائل ، ساذجة ككل شيء عظيم نبيل ، تقول بفصل الدين عن الدولة ، وبهدم الحيطان التي سوّرت الطوائف ، وبتنظيم الاقتصاد على اساس الانتاج ، وبانصاف العامل والفلاح ، فاعتنق هذا الايمان فتيان وفتيات كبروا في عيون انفسهم حين تحققوا انه يجب ان تكون لهم كرامـــة المواطنين . وفولذت العقيـدة أرواحهم ، فلم يعودوا رمالاً تذريها الرياح ، ولا حصى تتطاير تحت الاقدام ، بل قطعـة من باطون تحطّم ولا تحطمها الرؤوس .

تدافعوا على طريق الحياة نحو المصلحة العامة ، اذ انهم لا يعرفون ان هم مصلحة خاصة .

ما تبجحوا بالارواح على ما وقفوها ، ولكنهم وهبوها .

ما تغنوا باللاطائفية ، لأنهم يحيون الاخاء الصحيح . هدفهم وجغرافيتهم وشخصيتهم واضحة بيّنة الخطوط ، لا بالمعقدة ولا بالمزدوجـــة .

أحيا الفرد منهم نفسه على امّها واجملها واقواهـا ، حين افنى نفسه في مجتمعه .

في صلب دستورهم وتعاليمهم ان المرأة والرجل متساويان في الحقوق . ومن عناصر ايمانهم ان ليس في الامة طبقات .

وهذه الحركة رُميت بالتهم ، ورشقت بالوحول ، وفي كل مرة ارتدت التهم والوحول خزياً في وجوه الرامين والراشقين .

هذه الموجة يجب ان تنطلق لتغسل ادران هذا المجتمع ، ولتشد

قوتها الى عجلة حيويتنا ، فنصبح الامة التي نستحق ان نكونها . ان مئات الالوف من المواطنين يتلمسون في نفوسهم الشوق الى الاصلاح ، والتقدم ، والمساهمة القومية ، ويجدون في هذه العقيدة مدرسة تربية عالية للرجولة الحقة .

ان التجدد والاصلاح والنهضة ، تختصر بعمل واحد ، وهو ان تُفسح السلطات المجال لهذه العقيدة ، فتحتكم الى الشعب ، وتضع بين يديه سفرها . وللشعب ان يتقبلها أو يرفضها .

لا ادري من يبسم لي في غد ومن يعبس . فللباسم اقول : « اعود الى تفكيري وكتابتي فاجدك يا أخي رفيقاً لي منذ عهد الصبا والتلمذة ، ولكننا اليوم تعارفنا . » وللعابس ، من قريب او غريب ، أصيح : « لقد بلغت انا في حيـــاتي وتسياري نقطة اللارجوع ، فان كان هذا يغيظك يا اخي ، فهنا نفترق . »

كنتُ أحسب ان الكبر ، كل الكبر ، في الخلق والسيادة ، ولاول مرة في حياتي اشعر ان في الخضوع كبراً إذ انحنيتُ واعتنقت عقيدةَ من خلقَ وساد ، ثم اختصر البطولة اذ ركع وقال لجلاديه : « شكراً » .

وثبة نحو الضياء

بعد ان ثارت علي عاصفة صحفية
كان اكثر الذين زوبعوها من أصفى
اصدقائي وعشرائي .

اكثر الدروب في لبنان تؤدي الى الهاوية .

وقبل ان تنزلق الاقلام التي تصدت للرد على بياني الى صعيد من الجدل لا أريده ، ولن اهوي اليه ، اريد ان اعترف فوراً بكل نقيصة رميت بها ، فاقرّ اني رجل لا شأن له في الحياة ، وان حافزي الى هذه الخطوة طموح جامح لكي اظفر بعضوية في بلدية بعقلين ، واني مدفوع ومأجور ، واعلن سلفاً ان كل ما سأتهّم به صحيح ، فاختصر الطريق على المهاجمين بالاعتراف عن جرائم سوداء في ماضي وحاضري .

واعتذر الى بعض الصحافيين الاصدقاء الذين عتبوا عليّ لأن البيان لم يصلهم ، بالقول ان جريدة « الاحد » هي التي تولت توزيعه ويؤكد لي مديرها انه ارسل البيان الى الصحف جميعها في وقت واحـــد .

وفي هـــذا الايضاح ما يجب ان يقنع اصدقاء من الصحافيين اخرين ذكروا انني توجت البيان بمديح عن نفسي ، اذ انه ليس من المعقول لو اني انا الذي مهدت للبيان بمقدمة ان اقول عن نفسي « صاحب المؤلفات الشهيرة » بل كنت قلت اكثر من هـــذا بكثير ! .

ولو ان ذلك الصديق الحبيب يحسن القراءة بقدر ما هو يبدع في الكتابة لما اتخذ من اقوالي موضوعاً لافتتاحية بل لكان هو اول المهتدين .

أما أصحاب « البيرق » فاهنىء فيهم التهذيب الرفيع ، والامانة لأخوة لنا شرف وراثتها اكثر مما لنا فضل خلقها ، وانهم وسواهم من اشراف الناس لو اعملوا البصيرة ، وتحرروا ، فحاولوا ان يحملوا الماضي الجميل الى الحاضر ، بدلاً من ان يشدّوا هـذا الحاضر الى الماضي ، لاكتشفوا انهم في صفوفنا « صفوف النهضة » ، وان الاحياء ، من احياء وغائبين ، تروقهم هذه القفزة الى الامام .

غير اني اودّ ان اذكر هـــؤلاء الاخوان ، وغير الاخوان ، انني لست انا رهن المحاكمة .

انني راض بما يعرفه الناس عني وبما يلهجون به وبما كان يجيء على ألسنة ناقدي اليوم ، المغدقين المديح علي في أمسي .

ما انا بالشخص الذي يعنيني هـذا البحث . نحن امام حاضر أمة ومستقبلها ، ووسائل النهوض بها .

يعيبون على عقيدة الحزب السوري القومي الاجتماعي انهـــا تناهض العروبة . هذه مغالطة وتشويش ، نحن نقول بالعالم العربي

وبالجبهة العربية – جبهة تصطف فيها القوميات كما يقررها التاريخ ، القديم والحديث والمعاصر ، وكما تتطلبها مقتضيات اليوم . لانريد عروبة يكون الدين من عناصرها لانها هكذا تحمل في نفسها اسباب هلاكها .

لا نريد عروبة البكاء على الاندلس وحفظ اقوال الزمخشري ، وما حدّث به ابن المعتز عن ابن المهتز .

لغيرنا العزة القعساء . نريد عزة هي موديل ١٩٥١ – ١٩٥٢

ويتهمون اصحاب عقيدتنا بالتنكر للبنان . اي منطق هذا ! من يزعم ان من يريد خدمة امته هو بحكم الطبيعة متنكر لأمه ؟

نريد لبنان فكراً شاملاً وقوة منطلقة ساحقة . لقد نشرت لي مجلة « الصياد » كلمة منذ سنوات خمس قبل ان عدت من المهجر جاء فيها : « أريد الوحدة السورية بعد ان تقرع لهـــا اجراس الكنائس في بشراي ، وبكفيا ، ودير القمر » . هذا ما تبشر به عقيدتنا اليوم وما بشرت به امس . وهذا ما تبتغيه الفئة الصافية الذهن المتطلعة الى المستقبل .

لقد بشر « هربرت هوفر » بـ « عالم واحد » فمـا سمّي خائناً ولا نصبوا له مشنقة . نحن لا نؤمن بلبنانية تفجر الديناميت في المآتم وتقتصر على التسبيح للأرز ، وتلهو بذكرى امجاد غابرة ، ووصف الحنين الى المغتربين .

لقد قلت لهم في حفلة « الكتائب » في السنة الماضية : ان فخر الدين مات والمير بشير مات ، وصلاح الدين الايوبي مات . واقول الآن للذين يتهمونني بانني غيّرت عقيدتي ، ان اكثر ما ناديت به

قبل اليوم نشر في الصحف فهاتوا لي عبارة واحدة مجدت بها حزباً، او دعوت بها لعقيدة ، ارجعوا الى ما طبعتموه انتم ، واروني كلمة واحدة قلتها تشرد عن موقفي اليوم .

ثم اتركوا النظريات التي تبدأ بجدل لا ينتهي وقولوا لي أي داء كان أفتك بنا من الطائفية ؟ وأي شخص محا عملياً الطائفية من نفوس المواطنين ؟ وأي ايمان غير ايمان القوميين الاجتماعيين اجترح هذه المعجزة حتى اعتنقه ؟

حين أعلنت الحرية في زمن السلاطين العثمانيين تعانق رجال الدين في بيروت ، وفي سنوات فيصل هتف الشباب المحمدي للشباب المسيحي ، ومنذ سنتين تجسد الوئام والود في وليمة تاريخيه بين « الجناحين » تمثلها النجادة والكتائب . وبعد ان تجسد الوئام وزال التعصب تفجر الودّ في العيدين على ساحة البرج في العام الفائت ، رصاصاً من رشاشات ومسدسات ودوياً من قنابل .

صار لنا عشرات السنين والهلال يعانقه الصليب والجناحان يرفّان ، والقوافي تؤلف بين الأهلة والصلبان ، والامة سائرة القهقرى ، حتى جاء ايمان الوطنية الحق الذي شفى الامة من افتك أوبئتها .

لا احتاج الى تسمية هذا الايمان بل احوّر قولاً للرفيق اسد الاشقر : « كوم التبن لن تبدد الزوبعة » .

في اول مارس

ولد الفتى بعث الامة

[في سنة ١٩٤٦ وجه سعيد تقي الدين – وكان عامئذ في الفلبين – رسالة الى صديقه محي الدين النصولي قال فيها : « سينقذ الأمة من اسميه «رجل رأس بيروت » ولقد اطلقت عليه هذا الاسم لان كتفيه ستكونان اعرض من صخور الروشة ، ورأسه ارفع من المنارة » ومن الغريب ان الكاتب سنة ١٩٤٦ لم يكن قد سمع بعد بمن هو اليوم موضوع مقاله هذا .]

لم أعش بعد ان انجلى عني ظلّ ابويّ إلا مرات ثلاثاً في ظل انسان ، استمرت اولاها شهوراً ستة حين لجأت – هكذا تبدو الحقيقة اليوم – الى مكتب كامل حماده في « مانيلا » ، فعقدت معه شراكة أقاسمه فيها ارباحاً مرجوة . وبينما نحن ننتظر الارباح ، كثيراً ما فصلت بيني وبين الجوع اشارة بقلم رصاص يدونها كامل حماده امراً لامين صندوقه بدفع ريالات خمسة . وفيما كان الامتنان يغمر قلبي ولا افوه به اذ ذاك ، وانتشي باذاعته اليوم ، كنت كثيراً ما يتأكاني البغض – بغض كامل حماده – واسائل نفسي : أي حظ ، اي نظام ، اي قدر حكم ظلماً فجعل من

هذا الرجل محسناً وجعل مني محسناً اليه ؟

وفي حزيران الماضي عشت ساعات اربعاً في ظل رجل آخر هو شارل مالك ، حين خلوت به في « النادي الدولي » اتحدث اليه لأحدث الناس عنه . واني على شغفي به لم املك نفسي خلال تلك الساعات من كبح موجات من النار تثور في نفسي وانا اسائلها : لِمَ احدث الناس عن هذا الرجل بدلاً من ان يتولى هو التحدث الى الناس عني ؟ ان كان في الدنيا من لا ينقم على نفسه لانها ليست في الذروة فهو إله يُعبد او صعلوك لا شأن له .

وان مقياس كبر النفس ليس في انعدام هذا الشعور بالنقمة ، وهي من حوافز الطموح ، بل في ان تتهرأ هذه النقمة على نفسك ، فتصبح حسداً لسواك ، او في ان تتصلب وتخشن فتنطلق عدواناً لئيماً يتنقص من قيمة من يتفوق عليك

واليوم — وهذه هي المرة الثالثة التي أحيا خلالها في ظل انسان — إذ اصبحت القومية الاجتماعية دفة حياتي — اسائل نفسي : هل انعدم في نفسي شعور النقمة على خالق هذه العقيدة بسبب ان جسده دفين ؟ أتراني كنت انضممت الى صفوف القوميين الاجتماعيين لو ان مبدعها لم يضم رفاته التراب ؟ أكانت انانيتي وكان اعتدادي يردعاني عن الاعتراف بتفوق مخلوق ؟ وقد يكون من السهل الكذب والجواب « نعم » أو من مجاورة الحقيقة ان اقول « لا ادري » . ولكن الذي يغنيك من هذا الامر ويغنيني هو اني اليوم اشد احتراماً لنفسي إذ أقررت بفضل كامل حماده واحبيته ، وحين وجدت لذة بان اتحدث عن شارل مالك .

وهذه النون المتقعرة بين ألفين ، صميم الـ «أنا» هذه الذات التي عبدتها وطالما ازدهيت بها، والتي من صلب العقيدة القومية الاجتماعية واول شروطها ان تذوب وان تفنى ، أحقا انها امحّت ؟ أليس من العبث ان يقوى الانسان على ان يفني نفسه وان يذوب ؟

الجواب بسيط ليس فيه اضطراب ولا تناقض ، بل ان فيه حقيقة وعمقاً . ان الواحد منا يحيي نفسه ويذكيها اذ ينكرها . ان أشهى لقمة تأكلها هي لقمة تطعمها لسواك . ان الامومة التي جوهرت نفس امك وامي ورفعتها ووسمتها بطابع الالوهية، إن هي الا انكار الذات وتذويبها وافناؤها ، وبالتالي احياؤها .

يسألونني : هل عرفت ذاك الذي نفذ عقيدته فناء بخلود؟ أقول لقد اجتمعت اليه مرتين خلت ثانيتهما طويلة . واليوم ارى انهما جاءتا تمهيداً لاجتماعات مقبلة . وها انا اجتمع اليه كل يوم من جديد واتعرف اليه كل ساعة .

لعل ارخص انواع البوح عن النفس هو الكلام . قد يكون المهندس اشد افصاحاً عن عبقريته حين يصمت مشيراً الى الطريق التي اشتقها ، والجسر الذي بناه ، والقصور التي شادها . هذه الطريق التي اسير ويسير عليها الالوف من الرفقاء اشتقتها يداه ، وهذا الجسر الذي وصل ماضياً بعيداً مجيداً بمستقبل قريب مجيد هو الذي بناه . وهذه القصور التي شادها صاحب العرزال في نفوس المواطنين ، كلها تحدث بالتصاميم والخرائط والبناء التي صنعتها يدا رجل الجيل الجديد .

في تاريخنا الحديث ظهر في بلادنا مَنْ اوحى البطولات نقمة

على شيء ، واستثار الناس الى هدمه . لأول مرة في تاريخنا الحديث ظهر من استثار البطولات استنفاراً لصنع شيء ، وكانت النقمة في هذه البطولات عنصراً جزئياً لا الحافز الطاغي .

ان البطولة تُمجد كيفما ظهرت . ولكن البطولة التي تحدوها بهيمية البغضاء فحسب ، لا تبني ولا تحيا ، بل هي تنتحر حين تفترس . هوذا تاريخنا في كلمتين بعد عهد الاستعمار : افتراس فانتحار . اما القومية الاجتماعية فهي أبعد ما تكون عن الحقد والعداء والبغضاء ، فهي تسمو كلما انتصرت ، لأن الافتراس والتهديم ليسا من حوافزها . وهذه العقيدة ليس لها حد تقف عنده ، اذ ان الانتصار المتجسد بتحقيق هدف جغرافي حدده العلم والتاريخ والمنطق والمصلحة ـ هذا الانتصار ماهو بالغاية النهائية الكبرى التي نهدف اليها ، بل ان هذا الانتصار هو نتيجة جزئية محتمة لانتفاض النفس القومية الاجتماعية ، التي لا حدود لامكانياتها . اذاً فحركتنا هي بطبيعتها ابداً متجددة منطلقة تأبى الوقوف عند حد او الجمود أو الركود . فنحن لن نصل الى يوم نهلل فيه : قد وصلنا .

ولقد سبق ان قام في هذه الارض من جمهر الناس اغراء أو تخويفاً او تملقاً ووعوداً . ولكن من معجزات رجل الجيل الجديد ـ واعماله لا توصف باقل من انها معجزات ـ بل ان من معجزات رجل الجيل الجديد انه استهوى بالحقيقة وبالعلم المجرد ، فجاء الايمان بعقيدته اقوى الايمان لأنه استهوى من النفس البشرية اسمى عواطفها ، واعمق مداركها ، لا بهيميتها ولا أثرتها ، ولأنه

دلها على الاقتدار الكامن فيها – في الروح التي يحيا بها جسدها ، وفي الجسد الذي هو جهاز روحها ، ولأنه عرف ارضها جبهة يقاتل من اجلها مواطنون وفيها ينتجون .

ان الذي ولد في أول مارس ، وارتفع رأسه الى أعلى من منارة رأس بيروت ، وعرضت كتفاه فهما اقوى من الروشة واضخم ، هذا الرجل يمد فيئه في هذه البلاد يوماً بعد يوم . وان الالوف من الرجال والنساء هم اشد احتراماً لأنفسهم وثقة بها وبمستقبل الامة لأنهم يعيشون في ظل عقيدته

obeikandl.com

اريد ان انشق فوح دمي ...!

مقدمة المقدمة : مهدت المقال بالمقدمة إذ ان القانون منع التحدث عن جورج عبد المسيح وهو المحكوم بالاعدام مرات كثيرة .

[كان مطعم مطار بيروت مكتظاً حين فتشت عن كرسي فلم اجد . وهممت بالخروج فاذا بفتى منفرد الى طاولة يدعوني ويقدم لي الكرسي الوحيد قبالته . وتعارفنا وسهرنا ؛ فقرأ علي الكثير من كتاباته ، وحدثني عن اسفاره . واخبرني انه مسافر الى البرازيل ، ورجاني ان انشر له الحديث الذي تذيعه اليوم « صدى لبنان » حديث اشرف عليه ـ كالعادة ـ رفيقي محمد يوسف حمود ولا أدري كيف نسيت اسم محدثي ذاك .

ولكنه وعد ان يكتب لي ثانية .]

« بلى . بلى . اني اعرف هذا الرجل . لقد اجتمعت به فيما سبق . اين .. ؟ اين .. ؟ مدينة بومباي ..! »

بهذه الكلمات كنت احدث نفسي حين واجهني جورج عبد المسيح لأول مرة .

وكدت لا اسمع الكلمات القصيرة التي تعارفنا بها . وظلت مدينة بومباي ماثلة أمام عيني حتى دخلنا غرفة صغيرة كأنها قفص. وزاح جورج عبد المسيح يقدم كرسياً حاملاً غلاية قهوة عرفت فيما بعد انه اعدها بيديه . ونظف مرمدة سكاير . ثم نقل طاولة الى حيث جلست ، وكان يقوم بهذه الاعمال لا بتأدب من يتعمد الكياسة الاجتماعية بل شأن من ألفت يداه تولي اموره .

وكنت متأكداً من انني لم اشاهد لهذا الرجل صورة من قبل. ترى كيف خيّل لناظري انني اجتمعت به فيما سبق ؟! « بومباي بومباي ... ما علاقة جورج عبد المسيح بمدينة في الهند ؟ ! »

وبعد ان نظف واصلح وهندس ، دار بظهره اليّ في طريقه الى كرسيه خلف طاولته ، فاذا الشعر الكثيف يبدو كلبدة ، واذا بصخرين يوران فوق عضلات ، في زندين وساعدين ، تكاد تمزق الكمين ، واذا هو يخطو على مهل كأنه يمشي على وقع موسيقى هادئة .

وحدقت به فاذا هو اقصر مما ظننت واضمر مما توقعت .

وتطلع بي من غير ان يعبس ومن غير ان يبتسم ، فشخصت بي لمحة عينان فيهما حذر وفيهما يقين ، تتألق بهما الشجاعة لا شرسة مبتذلة بل صافية سامية هادئة .

وشعرت بشيء من الرهبة حين خلوت به في تلك الغرفة التي تشبه القفص . وتكلم جورج عبد المسيح فاذا في صوته بحة وفيه هدير . ولاحت مدينة بومبـــاي من جديد . وفجأة ادركت كيف يتآمر الشعور مع العقل اللاواعي ، ففي مدينة بومباي

رأيت الاسد لأول مرة وسمعت هداره ، وكان الاسد في قفص .

واستأذني دقيقة ليكتب مقالاً وما ان ذكر كلمة «أكتب» حتى شمرت بتيار يصخب في عروقي ويثب موجة عارمة تنصب في فراغ كان هناك . واذا بنفسي نقمة محرقة على هذا الجالس قبالتي — هي ثورة الرجولة على تأنث الخضوع الذي تملكني لمحة واذا بي بركان من البغض والمقت والكراهية والازدراء يجيش على هذا الذي استحال عدواً في لحظة واحدة : وكأنما هو اراد ان يسهل مهمة الكراهية علي حين انبرى «يكتب» في « حضرتي » .

وأنست بهذا الهزء يطفو على تحرق العداء . ورحت انظر الى تلك اليد الضخمة ، وطابة من عضلات تكوّمت هضبة بين الابهام والسبابة .

انه « يكتب » .

انه لمشهد مضحك — جورج عبد المسيح « يكتب » . هذه يد خلقت لتلتف حول مهول لا قلم . أو لتغرف قنبلة .

انه « يكتب » هذا الجورج عبد المسيح .

واسرعت الصفحات امامه تمتلىء . كيف يكتب هـــذا « الكاتب » ؟ أهذا القلم حنفية تنفتح عن برميل ؟ وشارة «الزوبعة» امامه وخلفه وعلى الحيطان !

وسألته ان يطلعني على ما سطره بلهجة المعلم يطلب من التلميذ ان يقدم له « الفرض » الذي كتبه .

وقرأت ما كتبه جورج عبد المسيح فكان ذلك بدء الطريق التي لا تنتهي .

منذ تلك اللحظة أيقنت ان من يصيب القليـــل من الشهرة يستقطر غروره من اثرته خمرة تنفخ اوداجه فتشمل عيناه ويسفنكس هناك متعبداً في صومعة ذاته .

***

وكثر ترددي عليه بعد الزيارة الاولى . وتأرجحت عواطفي حياله من مقت وكراهية ، الى ودّ ومصافاة . واني لأذكر ساعات كان اشهى ما لدي ان يغيب هـذا الرجل عن فكري ونظري الى الابد . وها انا اليوم – بعد ما يقرب من السنتين – أجدني اشغف ما اكون به اخوة واعجاباً .

في يقيني ان لهذا الشعور سببين . اولها ان قد توقفت نفسي عن تلك الاثرة التي تستثير العداء لكل متفوق في السلطـة او القوة – اي مناحيها – من عقلي وجسدي ، واتحدت في ولاء لايمان صهر الجهود فاصبح الواحد يجد في انتصارات رفيقه وكبره كبراً لنفسه وانتصارات لها . والسبب الثاني ان سنتين من معاملة ومباحثة كشفت لي عن هذا الرجل ، كل مناحي نفسه ، فتمادى اعجابي به ووودي له حين وضح قطعة انسانية كاملة .

ولغير مناسبة ، ولغير سبب ، قصدت اليه استنطقه هـــذا الحديث ، وقد لا يكون لهذا الحديث من حافز الا اني صرت افهم هذا المواطن بعد ان اختبرته غاضباً ، راضياً ، ثائراً ، ساكناً ، واعظاً ، متعظاً . وصار من الواجب ان تتعرف الامة من جديد الى هذا المواطن ، وهو بعض ثروتها الوطنية الموّارة في حناياها .

سألته السؤال التقليدي فاجابني :

▲ ولدت في زاوية البيت . وبيتنا اليوم خربة فوق «عين المشرع»

قرب « بيت مري »

– ابوك ؟

▲ مات ابي إبّان هربي في ٢ آذار ١٩٤٣.

– من هربت ؟

▲ من سلطات الحلفاء التي تمركزت في حلب . حكموا علي بالاعدام بتهمة التجسس للالمان. وكنا، نحن القوميين الاجتماعيين ، معتقلين عند الالمان الذين اتهمونا بالتجسس لهم. الحقيقة ان الانكليز قبل زحفهم نحونا من فلسطين نفثوا قطيعاً من اليهود الذين يتكلمون العربية فجاءت تقاريرهم تقول اننا نحن القوميين الاجتماعيين نؤلف قوة مقاتلة ، فبادروا الى شطبنا من هذه المنطقة الحساسة .

– وامك ؟

▲ هي في بيت مري ، عمرها ٨٣ سنة ، انها لن تراني فهي قد فقدت نظرها ، امي عمياء ، لا تسلني عنها ، لا اقدر ان اتكلم عن امي ، سل سواي يخبرك . عبد الله قبرصي مثلاً ، او اسد الاشقر ، او جورج مصروعه .

– قل لي شيئاً عن طفولتك ، عن ثقافتك .

▲ اول محاضرة سمعتها كانت من ابي . كنا نحرث في الحقل . اي ان أبي كان يسوق الفدان وانا اضرب بالمعول خلفه . اقتلعت الكثير من جذور قاسية عميقة – جذور التيول – وحملتها الى حقل جارنا العدو ، ورميتها لكي تنشب في ارضه . ورجعت اخبر ابي فخوراً بما فعلت . فخلع ابي النير عن الفدان ومشى بي الى فيء شجرة ، وهنالك جلسنا استمع الى اول محاضرة في حياتي . ان

أبي لم يأمرني بأن افعل شيئاً ولكني بعد سماع محاضرته رحت الى حقل جارنا واحرقت جذور التيول . هذه اول معركة انتصرت فيها على نفسي .

— وغيرها من المعارك ؟

▲ كثيرة . اذكر منها معركة الخوف في الحرب العالمية الاولى وكان عمري ٦ ـ ٧ سنوات . وكان لي عم ، اسمه جورج عبد المسيح ايضاً ، حكم عليه الاتراك بالاعدام لانضمامه للحركة اللامركزية . وكان مختبئاً في الحرش قرب بيت مري . وكنت اذهب اليه في الليل ماراً بالثكنات العسكرية حاملاً الزوادة وكثيراً ما رأيت الوحوش تنهش جثث موتى الجوع . وصرت استلذ الاخطار واتمهل في سفراتي الليلية . لي عم آخر اسمه يوسف عقل عبد المسيح مات في نيوزيلند متحرقاً . لقد قصر عمره عبيد الاتراك ، وعبيد الانكليز ، وعبيد فرنسا .

— حدثني عن انباء قتالك ؟

▲ كثيرة . فلسطين مثلاً . حاربنا سنة ٣٦ وسنة ٣٨ . فرقة الزوبعة . قتل هناك سعيد العاص .

— أكان سعيد العاص قومياً اجتماعياً ؟

▲ بالطبع كان قومياً اجتماعياً . انا الذي كرّسته . كنا في فرقة واحدة ولكننا لم نكن معاً في المعركة التي قتل فيها . مات وشارة « الزوبعة » على صدره . وقد انتزعها ضابط بريطاني حملها الى بيروت يفتخر بها . وقد هنأه يومئذ مواطنون أفاضل اتهمونا فيما بعد اننا تحالفنا مع اليهود . بعض هؤلاء الافاضل هم اليوم في

بيروت، في مراكز السلطة والمال تحفل الجرائد بصورهم واخبارهم ومواعظهم الوطنية. كان قائد فصيلي في فلسطين عبد الرحيم الحاج محمد. اذكر من الابطال رفيقي بشير فلاحه (دمشقي)، وبشير الزعيم هو رئيس الامن العام في اللاذقية اليوم. استشهد بعضنا في تلك المعارك ـ عشرة، اثنا عشر، لا اذكر. نحن لا نعد قتلانا. وبعد وقوف المعارك اردنا ان نقيم لشهدائنا حفلة في بيروت، فاعتقلنا الفرنساويون وحاكمونا وسجنوننا.

ـ حدثني عن سرحمول سنة ١٩٤٩.

▲ كنا في سرحمول ثمانية.

ـ قتل احدكم ـ محمد ملاعب في تلك المعركة؟

▲ لا. لا. محمد ملاعب لم يقتل. انه جرح في المعركة. ونقلوه الى السجن مكبلاً ودمه ينزف، واحذية ثقيلة ضخمة تدوسه في الشاحنة وفي باحة الأسر.

وهنا خرس لسان جورج عبد المسيح فسمعت صرير اضراسه تجرش الذكريات، ورأيت قذائف الكلام تطلقها عيناه لا شفتاه. ثم أردف متحرقاً على محمد:

▲ في ساحة الأسر ضربوه وشتموه. وهناك رفع محمد ملاعب رأسه وضرب به الأرض. ان العشرات من مواطنينا رجال الدرك ما يزالون يرون المشهد الصارخ، كما يردده العشرات من رفقائنا الذين كانوا يطلون آنذاك من وراء قضبان الحبس. ان القوميين الاجتماعيين كلهم يحسون في جباههم اليوم والى الابد عزة جراح محمد ملاعب، وفي قلوبهم رجفة ارض بلاده حين هزّها

هذا الشهيد برأسه .

ـ ما هي اكبر حسرة في حياتك ؟

▲ هي انني لم استشهد حتى اليوم . اريد ان اموت بالرصاص متخبطاً متضرجاً بدمي . اريد ان انشق فوح دمي . اريد ان أراها تشخب متفجرة من عروقي وان تطول ساعة احتضاري وان لا يغيب وعيي لأتمتع برؤية نفسي كيف تموت لتحيا سوريا.

وسألته :

ـ كنت اتوهم ان مقتل سعادة كان لك اكبر صدمة عاطفية؟

▲ عن أية صدمة عاطفية تتكلم ؟

لم افجع بالزعيم إلا كما يفجع الجندي بقائده صرعته الخيانة في أوج المعركة . كنا ـ ولا نزال ـ في ذروة معركة انقاذ هذه الامة من مشعوذيها . من خونتها ولصوصها وطواغيتها ، من مستغلي عمالها وفلاحيها وفقرائها وجهالها وضعفائها . من الذين اخترعوا المثالية وسيلة للأنانية فتردوا بسوح الانبياء . أراد الزعيم ، ونريد ، انقاذ هذه الأمة من النظام الذي صنّف المواطنين طبقات ، وطوائف ، ووسم الشعب بميسم العبودية للأجنبي ، ولعميل الأجنبي ولتجار الدين والوطنية .

ـ من هم اعداؤك ؟

▲ ليس لي عدو وانا فرد لا أهمية له إلا بمقدار ما ينتج في سبيل حركة تعبر عن الحياة وعن عظمة هذه الأمة . والحركة اعداؤها اعداء هذه الامة . ونحن نعتقد ان في كل مواطن خيراً اعتقته فيه حياة امتنا . وان حركتنا من مهماتها ان تكشف عن

القوة والخير والجمال الكامنة في نفوس المواطنين . ليس لنا عدو وكل من نفذ مبادينا فهو صديقنا . على انه يستحيل على فرد ان ينفذ كل مبادينا ويفصح عن كل ايماننا إلا اذا انتظم وفعل .

ـ أصحيح ان في نفسك حسرة لابتعادك ورفقائك عن لبنان ، ولبقاء المساجين القوميين في الحبوس ؟

▲ نحن لا نعرف من الحسرة إلا الحسد ، حسد الرفيق للرفيق يسرت الحوادث لأحدهما شرف التضحية واستثنت الآخر . اما الابتعاد والسجن والموت والفقر والاضطهاد فكلها مخاطر توقعناها وتحديناها عندما تجندنا لخدمة الامة . ومما لم نفطن له نبهنا الزعيم إليه بقوله « ان آلاماً عظيمة ، آلاماً لم يسبق لها مثيل في التاريخ تنتظر كل ذي نفس كبيرة منا » . يتوهم البعيدون عنا ان ايام صراعنا ولّت . اقول لك ان أيام الكفاح أمامنا لا خلفنا . اختبرنا الخونة والكذابين والدساسين . وعرفنا المغاور والسجون وميادين القتال . المبتعدون ؟ أي مبتعدين ؟ اما الذين منا عن لبنان مبتعدون ، فمن هو في الكويت او الموصل او القامشلي فهو في وطنه لا مغترب عنه . ومن هو عبر الحدود فهو معنا في الحركة ، واما الاسرى ـ اقول الاسرى ـ فلا نحن نلتاع عليهم ولا هم يلتاعون . انهم ينفذون واجباً عادياً . وليس أسفنا الا بقدر حرمان هذه الأمة من انتاجهم الكامل ، غير انهم هم ينتجون لحد ما ، والانتاج من تبشير ، وتثقيف ، وتقوية نفس ، هو من فروض القومية الاجتماعية .

ـ ما حالة الحركة القومية الاجتماعية في هذه الايام ـ انتشارها

وحيويتها وفعاليتها ؟

▲ الحركة مثل كل حياة هي تنمو وهي تنتصر ، وهي أبداً تمر في ازمات خلال صراعها . ولكننا منتصرون ، ولقد فعلنا حتى في نفوس اعـــداء امتنا ، اذ اصبحت اساليبهم في مقاومتنا اقل خساسة ، وفي بعض القطاعات اقتصرت المقاومة على الصراع الفكري وهذا ما نحترمه ونريده .

ولسبب ما تراءى في خاطري جان جلـــخ يحاضر في مطعم العجمي وفيليب ضرغام خلف مذياعه تحت شجرة العدليـــة ، وتصورتهما يقرآن هذا الحديث ويعلقان عليه ، فهرعت انتقل الى موضوع سياسي مثير .

قلت :

ـ ما موقفكم من العداء القائم بين المعسكرين الروسي والغربي ؟ وهذا الحديث عن تفاهم مع تركيا ؟

اجاب :

▲ ان تركيا التي استعمرتنا يشوقها ان تستعمرنا من جديد ، وعبيد الاستعمار من الذين تستلذ رقابهم النير لذة «فرودية» بدأوا يرحبون بهذه الفكرة . يهمنا من النزاع العالمي مصلحة أمتنا . ولن نضحي بهذا من اجل شرق ولا غرب . نحن اعـــداء الاستعمار ونقاوم الشيوعية لانها وسيلة استعمار روسي ، ولانها عقيدة مضللة باطلة . ولكننا لن نسمح للغربيين ان يستغلوا عداءنا هذا للشيوعية ليبيعونا بيعاً مصالح هي من حقنـا . ولا تنس ان المواطن يبقى مواطناً لنا حتى ولو ضللته الشيوعيـــة . يدعي الغربيون انهم

يشتغلون من اجل عالم حر ، ونحن لم نر من اعمالهم الا اضطهاداً للحرية

قلت : حدثني ماذا فعلت هذه الحركة .

اجاب : — انها انتصرت فينا .

و كأنه لمح صورة جان جلخ وفيليب ضرغام تتخايل امام عيني ، فأوضح :

ـ اسمع . كل من اعتنق عقيدة النهضة طهرت نفسه ، فلم يعد طائفياً ولا قبائلياً ولا انانياً يسخر المصلحة العامة لمصالحه الخاصة ، وشعر بمسؤولية نحو بلاده تحفزه للعمل من اجلها ، واحترم نفسه فانتفض مطرحاً عبوديته للاجنبي ، وللاقطاعي ولتجار الوطنية والدين ، وتعاون مع رفقائه ومواطنيه و . . . و

فقاطعته :

— وهذا الصيت الذي انتشر من انكم جماعة ارهابية ؟

▲ نحن لا نؤمن بالعنف ، ولكن قطار الحياة يمحق معترضه . نحن جنود لا قبضايات . ان القائمين على الامر في لبنان اليوم يفهموننا وان كانوا يتجاهلون . هم يعرفون عنا بالاختبار والتجربة متى نعلن التعبئة ولماذا . نحن ننفذ ارادة امتنا ومصالحها وميعادها مع العظمة . ليس منا من يبغي شيئاً لنفسه ومن طلب شيئـــاً لنفسه فما هو بالقومي الاجتماعي . نحن ابداً مستعدون للتضحية عن وعي في سبيل المصلحة العامة ولا نأبه للتوافه والحقارة .

الحياة صراع ، والموت من شروط استمرار الحياة وتغذيتها . الحياة تفرض النمو وتنتدب للموت سلباً وايجاباً ، من صفوفنا او من خارج صفوفنا من يفنى ليحيا فيزول او يزيل حاجزاً يعرقل

الحياة . هذه نظرتنا للواجب . والقومي الاجتماعي ليس له من حقوق باكثر من اي مواطن آخر . غير ان حركتنا تقسو عليه باكثر من قسوتها على سواه لأنه أشد وعياً ، فهو اذن اكثر مسؤولية . تلك المرأة العمياء في بيت مري – أمي – لن اقوم بواجب البنوة نحوها فأفي حق الامومة الا اذا كنت متفانياً مع ابناء بلادي من اجلها ومن اجل كل أم ووالد وولد في بلادي ، في نابلس ، في النبطية ، في اهدن ، او في بغداد . ارملة الشهيد – شهيدنا عساف كرم وايتامه – ليس لهم علينا اكثر مما لسائر ارامل وشهداء الامة وايتامهم في ذمتنا .

ودوّى في الغرفة سكون ، فاذا بشارات الزوبعة التي من حوله تهم ان تعصف ، فتدار كتها بسؤال عادي :

– وكيف تقضي ايامك ؟

▲ اكتب نحواً من عشر ساعات واطالع خمس ساعات ، واحاضر ويأخذني التنظيم ساعات ، وفي بعض الليالي انام .

ودفعت اليه بورقة بيضاء وقلت له : اكتب عليها اسماء من تعتقد انهم افضل القوميين الاجتماعيين .

قال : ليس بيننا مفاضلة . مبادؤنا وايماننا وتعاليمنا ووسائلنا معروفة – مَنْ فعلت به صيرت منه المواطن الامثل . لا يفضل احدنا الآخر الا بقدر ما فعلت فيه العقيدة .

قلت : اكتب لي اسماء من جعلت منهم العقيدة المواطن الامثل ؟ .

فتناول الورقة وكتب على صفحتيها : « انطون سعاده » .

ـ وانت ؟

فاجاب مهمـدراً : لا . لا انا ولا سواي ، انت تعرف مئات وانا اعرف الوفاً من رفقائنا قد تحسب اياً منهم المواطن الامثل ، ولكن هذه الورقة بيضاء الا من اسم الزعيم وستبقى بيضاء حتى تبلغ هذه الامة هدفها ، وهدفها يتصاعد ويسمو ابداً كلما اقتربت منه . صاحب هذا الاسم مات راكعاً على رمل بيروت ويداه مربوطتان بحبل ـ بهذا الحبل (واراني قطعة منه راحت تلاعبها اصابعه) .

قال ذلك من غير انفعال !

وسألته عن ثقافته فاجاب انه تخوج من الجامعة الاميركية سنة ١٩٣٣ شبه متخصص بالاقتصاد ، وانه تعلم الفرنسية في المدرسة وأتقنها في السجن ، وانه اسس وترأس « الجمعية الحورانية » في مدرسة بيت مري او برمانا سنة ١٩٢٥ انتصاراً للثورة الحورانية ضد الفرنسيين . وان احد شعراء لبنان اعجب شديد الاعجاب بشعر منثور قرأه عليه جورج عبد المسيح على انه ترجمة عن الصينية ولكنه كان من تأليفه . والأدب ؟ « لن يبرز حتى يتركز الاساس الاقتصادي ، والاديب يجب ان يشق اثلاماً ويبذر . وفي هذه الخمسين سنة قام اديب واحد في سوريا اسمه جبران خليل جبران . وفي لبنان اليوم شاعر واحد حي وآخر همّ بأن يكون شاعراً . والنهضة القومية الاجتماعية ؟ « ان ادبها بدأ بالظهور » .

والسياسة ؟ ان القومي الاجتماعي يجب ان لا يهتم بها والحركة القومية تعتبر السياسة لاجل السياسة ليست عملاً قومياً وهي آخر

ما تهتم به ومبعث الاهتمام هو ان المقاليد في ايدي رجال عقيدتنا اقرب الى التنفيذ لمصلحة الأمة منا في ايدي سواهم . مشتغلون بالسياسة اراخنة ينافسون الكوكاكولا والبيبسي كولا بالاعلان عن انفسهم . نحـــن نعرفهم كلهم . وخبرناهم كلهم ، وعاملناهم كلهم ـ كل اوخون منهم . لكل واحد رداء يزين ويضخم ويخبىء شخصاً واحداً اسمه «أنا» . والشعب في تشوفه الى الاصلاح والتقدم يرى الواحة في سراب الاراخين ، فيكثر في فترات من الغفـــلة المنبهرون المعجبون المهللون ـ المخدوعون . وما هي إلا يقظة وعي حتى يعودوا لا منبهرين ولا معجبين ولا مهللين ـ لا مخدوعين .

والموسيقى ؟ يعرف عنها . والفلسفة ... ها ... هنا لا تفتح كتاباً بل مكتبة ، هو يعتقد ان انطون سعاده اعظم فيلسوف ، ويتلوه زينون الروائي ، ولكنه يناقش في عشرات آخرين من الفلاسفة ان كنت من تلامذتها وطاب لك التحدث عنها من غير ان تخاف جان جلخ او فيليب ضرغام .

* * *

وعدت اسائل نفسي ما الذي يميز هذا الرجل عن سواه ؟ فكان الجواب سؤالاً ثانياً « هل في هذا الرجل ما يميزه عن سواه ؟ »

لقد استمعت الى جورج عبد المسيح يقصف نقداً مدمراً ، ورأيته يتلقى قنابل النقد ، وانك لتقرأه بشوق وامعان وتستفيد منه معجباً بعمق تفكيره وواقعيته . أصغيت اليه يروي بخيلاء صبيانية كيف كسب في اربعة اشهر ـ اربعة اشهر فقط ـ مبلغاً ضخماً ١٢٠٠ ليرا (الف ومائتي ليرا ، لا اقل) متجراً بالحطب ، وكيف تطلع

الى شجرة فرازها بعينيه وحكم : « انها تزن اربعة قناطير »، وجاء الوزن ـ ويا للعبقرية ـ اربعة قناطير . واصغيت اليه يشرح لي عبارة عمقت عن فهمي . وسمعت منه الف « رفة جناح » : «هربوا وهم قاعدون » « لبخ خبيزة على وجع الراس » . « حاملة الجرة لا ترى الجرة » . وتطلعت اليه يستمع الى جمع من الطلبة عادوا من سجن في مصر ايام فاروق (يا نديم دمشقية ، يا ابن خال محمد البعلبكي ، يا من كنت يومئذ في المفوضية اللبنانية في مصر، يسرني انك ابن خال محمد البعبكي لا ابن خالي) يقصون انبـــاء سجنهم ويشيرون الى رفيق لهم خاط شفتيه بابرة وخيط احتجاجاً على سجنهم . رأيته يستمع الى الحديث من غير ان يلتفت الى الطالب القومي الاجتماعي او يظهر اعجابه . ورأيت وجهه يشرق حين لبس بدلة جديدة (بدلته الوحيدة عمرها خمس سنوات) ارسلها له هدية جورج حداد . من تقول ؟ أي جورج حداد؟ نعم هو بذاته، ذلك الذي اقتلع اذني باسنانه . نحن لا نحقد . على كل حـــال أذن واحدة تكفيني .

جورج عبد المسيح يصلح ان يكون موضوعـــاً لكتب لا لمقال .

ما الذي يميزه عن سواه ؟ والجواب هو سؤال : هل في هذا الرجل ما يميزه عن سواه ؟

من السخف ان نشبهه بالاسد . من السخف تشبيه الانسان بالحيوان . الشجاعة ؟ متى تخلص الانسان من الخوف « وباعها » يتساوى مع الذين باعوها . القوة الجسدية ؟ انت وانا نعرف من

هو اشد عضلات منه . الفكر ؟ هو تلميذ فلسفة عميق التفكير ، ولكنني اعرف من يضاهونه . الادب ؟ في بيروت عشرات من هم اعلى منه أدباً بالمعنى الشائع . الايمان ؟ كلنـــا يؤمن بشيء . المرتشي يؤمن بالرشوة وتاجر الوطنية يؤمن بالتدجيل .

إذن ما الذي يميزه ؟

لا شيء ، إلا انه آمن بعقيـــدة نظمت تفكيره ، ونسقت اعماله ، عقيدة ارتكزت على العلم والقيم الانسانية ـ أو بعبارة ثانية عقيدة صحيحة .

قالت له هذه العقيدة : اطلب القوة في نفسك وانتظم مـــع رفقائك . قالت له : أعطِ . وقالت له : ولاؤك الاول والاخير لأمتك ومصالحها . قالت له انت لا شيء وحدك والمجتمـــع كل شيء معك ، فشعر انه كل شيء لأنه المجتمع . قـالت له : كن شجاعـاً ولا تكن ازعر بهواراً ، واغسل نفسك من ادران التفكير الحقير واوهام الطائفية والاقطاعية وعلم الغيب . مـــا استهوته بالخبز ، ولا بممتلكات سواه ، ولا أوغرت صدره على جيرانه فلم تغر بهيميته . بل قالت له : كلكم مواطنون متساوون ـ رجالاً ونساء ـ حقاً في الكسب وواجباً في الانتاج . لم تحتقر المادة ولم تؤلهه الروح ، لأن الحياة كما نفهمها وكما هي ، هي مادة وهي روح (هذه هي المدرحية) .

لم تعده العقيدة بالحل الرخيص ولا الطريق المختصر ، ولم تقلده رقية من نشوة مبهمة ، بل استهاجت القوى التي تؤمن انها كامنة فيه فهبت فيه الرجولة الواعيـــة ، الرجولة التي جاءت لتعطي

وتصارع ، لا الحقارة التي هرعت تحدوها الغريزة العمياء ، لتنهب وتتمتع ، فحين اشرأب الكبر في نفسه صار جورج عبد المسيح .

لا . لا . جورج عبد المسيح هو رجل عادي . آمن بشيء يؤيده العلم ، فانتفضت عناصر نفسه ، وانتظمت ، بطولة فكر ، وجرأة .

في يقيني ان في وسع أي واحد من مواطني هذه الأمة ان يصبح كجورج عبد المسيح او افضل منه تلك الورقة التي خط عليها الامين عبد المسيح اسم انطون سعادة . . . لن تبقى بيضاء . ان السطر الاول ، والاسم الاول ، والقومي الاجتماعي الاول لن يكون السطر الاخير ولا الاسم الاخير .

قطعة الحبل التي تقلبها جورج عبد المسيح ، خيوطها ابداً تتكاثر وتتفولذ . ذلك الحبل الذي إلتف على معصمي مَنْ آمن ان موته شرط لانتصار قضيته ، سينشل الغرقى كلهم من مهاوي وادي ابو جميل الى مشارف ضهور الشوير .

حين تتركب العدالة

أطلق مجهول على الاستاذ يوسف شربل رئيس مجلس الشورى ثلاث رصاصات. وروت الصحف ان مطلق الرصاص روكب (تعطل) مسدسه . وقيل يومئذ ان مطلق النار فتى اسمه حسين الشيخ من اعضاء الحزب القومي الاجتماعي .

الحضارة ـ ان شئت وصفها اختصاراً ـ وجدتها صراعاً مع الشر .

ما اطمأن الانسان الأول الى ملجأه في كهفه الا بعد ان سحق أفاعي الكهف وطرد منه الخفافيش ونوّر فيه العتمة .

وما أمن الانسان الى حراثة الارض الا بعد ان بطش بكواسرها ، وأبعد عن مساكنه وحوشها . والحضارة ـ وقد شئنا وصفها اختصاراً بانها صراع مع الشر ـ لا تقاس الا بمقدار ظفرها في هذا القتال . فالطب ينجح حين يفني مكروب المرض ، والمعلم ينجح حين يطرد الجهل بالعلم من نفس تلميذه ، والطائرة تنجح حين تبطش بالمسافة .

ولقد ابتكر الانسان ، في سياق صراعه مع شر الفوضى ، نظام الحكومة وضبطها بالقوانين .

وجاء القانون ، ككل ما اخترعه الانسان ، اداة طيعة تصلح للخير او تستخدم لعكسه . فليس من جريمة في الدنيا افظع من جريمة يقترفها من يغتال باسم القانون ، ويسجن الابرياء باسم العدالة .

ويا طالما صاح خطباء بلادنا ، واصطفت مقالات كتابنا تنادي ان ازمة الحكم في بلادنا هي ازمة تنفيذ القوانين ، او اساءة تنفيذها ، او الاعراض عن تنفيذها ، او تنفيذها معكوسة .

والحضارة — وهي لا تزال موضوع حديثنا — نشأت في بلادنا وفيها ازدهرت . وحضارتنا ، وقد تكون القوة مقياسها ، تصابت أو هرمت على مقدار ما تغلبنا على الشر او تغلب الشر علينا .

وتاريخ بلادنا الحديث حفل بالبطولات وبالمصلحين وبالمبشرين الذين حاولوا القضاء على الشر وبالتالي دفع هذه الامة في سيرها الحضاري . ولكن هؤلاء المصلحين والمبشرين والابطال ما تناولوا من مناحي الحياة الا بعضها ؛ وما توجهوا الى الشعب بكامله ، وما استثاروا متسلحين بالواقع وبالعلم . فهدرت بطولات الحركات في تموجات ضعيفة على سطح المجتمع .

وجاء انطون سعاده .

ان من يحيا حركته يجد كتبه - وكلها عظيم — في ما تنص وفي ما توحي ثروة من مناقبية ثقافة لا تحصر في دفتي كتبها العديدة . وتجد انها في جوهرها تعبير شامل عن حياة وعن مجتمع فهي

حين تماوجت واشرأبت انطلقت لتملأ كل فراغ ، ولتغسل كل درن ، ولتغرق فيها كل بارجة يرفرف عليها علم مستعمر .

لذلك حكموا بالاعدام على انطون سعاده منذ ان رفع علم الزوبعة في وجه المستعمر الاجنبي ، والمستعمر الداخلي .

هذه الحركة القومية الاجتماعية ـ انطون سعاده ـ ماذا تريد ؟

جريمتها الاولى انها قالت لمواطني هـــذه الامة لا تصدقوا الغربان انكم زرازير ، فانتم انتم الشواهين .

ومن جرائمها انجعلت المواطن مسؤولاً عن بلاده لا متفرجاً ولا مستغلاً لها ، وأن صرعت الطائفيـــة في نفوس معتنقيها ، وانها استثارت فيهم البطولة والايمـان بنفوسهم وبلادهم ، وانها ثقبت بالونات التزعمات وتهجأت اسماء الخائنين وسرّحت بلبلة التفكير في من يبغي وضوح التفكير .

كانت الحركة ، وستبقى ، حركة عنفوانية .

تحدّت الشر لتصرعه ، ان انطون سعاده ما ثار حتى يصبح نائباً او وزيراً . انه استنهض وعي الامة وعبأه وجنده لظفر نهائي حاسم . فما هادنت نهضتـه الشر ولا هادنها الشر فالمستعمرون الفرنسيون سجنوا القوميين الاجتماعيين ونكلوا بهم وخربوا بيوتهم . وعهـد بشاره الخوري قبل ان ينطوي — هل انطوى ؟ — قتـــل واغتال وشرد .

تحدثت فيما مضى الى الرئيس السابق الاستاذ بشاره الخـوري في اواسط حزيران عام 1951 فقلت : يا فخامة الرئيس ، اني منذ ان انضممت الى الحزب القومي الاجتماعي بـدأ اختلاطي معهم

وتفهمي لمبادئهم . ليس من الممكن يا فخامة الرئيس ان يلقي البوليس او ان يشنق القضـــاة مبادىء صحيحة ، كل ما يريده القوميون الاجتماعيون رخصة حزبية ليس من منطق ولا بـــلد متمدن ان يحجبها عن جماعـــة . ويريدون اطلاق سراح هؤلاء السجناء والكل يعرف حكاية محاكمتهم . ان هؤلاء القوميين — وهم مواطنوك — بعد ان أعدم زعيم حركتهم ، والكثـــير من رفقائهم ، وهدم بيوتهم وسد الاضطهاد باب الرزق في وجوههم ، في مزاج مخيف . يا ويل المعتدي من مؤمن مضطهـد . في رأيي ان انتظام القوميين في حزب مرخص له مسؤول هو اقل خطراً على اعدائهم من ان يبقوا ثائرين ناقمين . لا يضبطهم مسؤول حزبي . يشاركني بهذا الرأي كل عالم اجتماعي او قائـــد عسكري او موجّه انساني .

ان همّ البارزين اليوم في هذه الجماعة هو ان يكبحوا النقمـة لا ان يستثيروها !.

ولقد قال بيارادة لاحـدنا جبران حايك ، ان اباه المرحوم اميل اده ، وما كان قط بالزعيم سعاده مغرماً ، قال : « ان اعدام سعاده اغتيال » C'est un assassinat.

وذكرت جريدة « الهدف » في عدد 7 تموز 1949 ان الزعيم سعاده قال للسيد فريد شهاب مدير الامن العام وهما صاعدان على درج مركز الدرك السيار : « اني اعتبر قضيتي اغتيالاً سياسياً »

« Je considère mon cas comme une liquidation politique ».

واليوم يتحدثون عن اغتيال جديد. يقولون ان حسين الشيخ حاول اغتيال يوسف شربل . ويلغطون بأن حسين الشيخ قومي اجتماعي . ان صح هذا ، فما هو سبب اطلاق الرصاص ومن المسؤول عنـــه ؟ من روايات الجرائد ان حسين الشيخ لم يعرف يوسف شربل ولم يكن له معه اي علاقـة . وليس حسين الشيخ بالمجرم المحترف ليحاول قتل احد من الناس لقاء رشوة .

ترى ما هو الحافز ؟

نحن نتكهن ، ونستنتج ، ونحكم العقل . نلجأ الى كل هـذا لانه ليس لدينا معلومات قبل الحادثة او بعدها يصح الاستناد اليها.

منذ ان نشأ الحزب القومي الاجتماعي صراعاً مع الشر المتمترس خلف القوى المسلحة ، والتعصب الطائفي ، والضعف الذي اشاعه الخوف والاستعمار والفساد في نفوس جمهور المواطنين ، جنّد الشر كل قواه في معركته مع الوعي والمثالية .

لقد لبست الخيانةُ روباً ووضعت المثاليةَ في قفص الاتهام .

الذين خدموا الاستعمار ، ونهبوا الشعب ، وجعلوا من الحدود مع اسرائيل بوابة كبرى يسلكها الخونة والجواسيس لا يريدون ان نأخذ رخصة لعمل حزبي هو في جوهره حركة ثقافة تفهم المواطن مسؤوليته وحقوقه .

والذين نبشوا وينبشون شوارعنا وعتموا ويعتمون بيوتنا ؛ يقولون ان مبادئنا تنشر الظلام .

والذين توسطوا للمجرمين فاستصدروا العفو عنهم ، يستبقون احرارنا في السجون وفي الابعاد

والذين صادروا « المحاضرات العشر » لسعاده وأحرقوها غير مستندين الى قانون ، ولا دستور ، يتهموننا أننا جماعـــة خلقت لخرق القوانين .

واساتذة التطبيق والصفقات وعمال الاجانب لا يريدوننا فئة قوية ، لان في قوتنا نهاية لاعمال التجسس والانصياع للسفارات .

القوادون الذين يريدون بيروت « شانهاي » الشرق او « طنجة » المغرب لا يريدون ان نوجه الشعب الى جعل بيروت عاصمة ثقافة للبلاد السورية كلها .

ان في القوميين الاجتماعيين جراحـــاً لا تزال تنبض آلامها ورائحة دماء لا يزالون ينشقونها .

أمن اجل هـــذا اطلق حسين الشيخ رصاصاته ـ ان صح انه المطلق ؟

تراه سَعَرَ الارض تهتز حين ضرب محمد ملاعب رأسه بالارض بعد معركة سرحمول ؟

تراه تحدث الى جورج حداد وتحسس طعنة حربـــة الدركي في رئته ؟

تراه استمع الى أم سيمون بهنا تروي كيف عاد سيمون الى البيت وكاساته تنضح بالدم المتدفق من تحت اظافر رجليه ؟

أتراه رأى امرأة الياس متى وام فؤاد متى تسير كل سبت بالزوادة الى حبس القلعة والله اعلم كيف تجمعت الزوادة ؟

اتراه ذكر الوف القوميين الذين تشردوا ، والالوف الذين سجنوا ، والمئات الذين فصلوا عن موارد رزقهم ، والمئات الذين

احتلت بيوتهم، وفقدوا اموالهم ، كل ذلك لانهم مثاليون انتدبوا نفوسهم « لتحقيق امر خطير يساوي وجودهم ؟ »

اتراه وعى ان الاضطهاد والتهم والملاحقة عايشت الحزب منذ نشأته وان هذا الاضطهاد بلغ ذروته قبل ثورة 1949 ثم بعدها ؟

ام تراه ـ ترى حسين الشيخ ـ تطلع فيما حوله فوجد ان موكب الفساد لم يتغير فيه الا بعض الوجوه ، وان الشياطين يقرأون علينا من كتاب الواعظين ، وان الذين شمخت قصورهم ، وعلا أمرهم ، وضخمت اموالهم وزخرت مواردهم ـ جاءتهم النعم على حساب البلاد ، والمواطن .

تراه فقه ان المثالية صارت جريمة ، وان الخيانة اصبحت فضيلة ؟

من يدري ؟ لعل حسين الشيخ نفسه لا يدري . لعله قرأ ان خمسين الف ليرا دفعت او ستدفع للاستاذ محسن سليم فأعياه الحساب ، حساب كم يجب ان يدفع تعويضاً للحزب القومي الاجتماعي ؟

لعله تحدث الى احد معارفه او اقاربه العائدين من الغرب فتحقق ان الدول لا تبنى الا على مبادىء القومية الاجتماعية .

لعله ذكر الاغتيالات فاراد ان يسجل احتجاجاً عليه ، ويقطع الطريق على اغتيالات جديدة ، ويفسح مجال التكفير للذين يريدون ان يكفروا !

لعله اراد ان يوقظ سواه ولم توقظهم القنبلة التي شحنت الينا من اسرائيل ؟

مَنْ يدري ؟ . نحن لا ندري ! !

ولعل حسين الشيخ نفسه ـ ان صح انه مطلق النار ـ لا يدري !

لعل العهد الجديد يدري ويقدر ان يوضع لنـــا ، لنفسه ، للأمة كلها .

لا يطيب الفناء في الخراب الا للبوم .

والدم الذي سال على رصيف شارع يؤلمنا منظره لأنه بعض دمنا ، دم هذه الامة .

لقد روكبت العدالة فيما مضى . وعلى هذا العهد ان يساهم في صراع الشر وان يزيل آثام الماضي لا ان يرسخها .

وكل ما نبغي حياة انتاج واشعاع وحق .

حياة لا تعزل احرار الامة في السجون ، ولا تحرق كتب فيلسوف ، ولا تمنع اجازة عمل تجود بها حتى على « شهود يهوه » .

من مهماتنا ان نغسل الاحقاد ، وان نحول دون تفكير يستفز حسين الشيخ او سواه . وكلما اردنا التعاون مع العهد الجـــديد ـ ونحن لا نزال نحسبه عهدنا ـ وجدنا ان العدالة روكبت من جديد .

هذا مذهبي

هل لي مذهب ؟ ما هو المذهب ؟ أمن الضرورة ان يكون للرجل مذهب ؟ وأهم من كل هذا أصادق انا بالجواب ؟ أهي الحقيقة عارية اظهرها للناس ، أم أنا أصيح بها : هيا البسي ثوبك انيقاً وتبرجي واخرجي ففي الصالون زائرون يبغون التعرف اليك ؟

ان اهل القلم أكبر مزوري الدنيا . واني ما دوّنت سطراً ، وما حاضرت في جمع ، وما خطبت في حفلة إلا واثرأبت في نفسي موجة عارمة حارقة يطلقها الضمير فأحاسب نفسي أصادق أنا فيما اقول وفيما اكتب ؟

فالقانون يعاقب الطبيب ، والصيدلي ، وسائق السيارة ، ان أخطأ أو تعمد الجريمة ، اما مطلق الآراء — كتابة او خطابة — فله ان يكذب ويضلل وليس من يحاسبه . بل ان جمهور الناس قد نسجوا حول الأديب هالة تروعهم فهم يقبلون على القراءة مأخوذين بسحر الكلمة المطبوعة ، ويصغون بخشوع لأي متكلم ترسخت شهرته .

اذن فكان الاصح ان يحور هذا السؤال فيمسي : « ما يجب

ان يكون مذهبك ؟ » . فقليلون يحيون مذهباً . انه ثوب نتزين به في الاعياد والحفلات وايام العطلة . وان اتفق ان لقيت من يؤمن ان اجمل ما في الفن هو الصدق ، وأرخم ما في الحياة هي الحقيقة فقلما يكون هذا الذي تلتقيه من الفنانين او من القادرين على الافصاح عن الحقيقة كتابة او خطابة .

اما انا فقد اعتنقت في حياتي مذاهب ثلاثة : فلقد كنت حتى السادسة عشرة أدين بقرويتي الضيقة . فأنا ابن الضيعة في لبنان . اؤمن بعائلتي ، بتفوقها ، بأحقادها وصراعها مع جيراننا من أجل سؤددها . وهذه العائلية القروية ارتدت الطائفية وامتشقت سيفاً وأعتمرت خوذة . فأنا درزي ، والدروز اشجع اهل الارض ، وانبلهم . وكل من عداهم لا بأس ان يعيش على وجه الارض ، ولكنه يجب ان يكون خانعاً ذليلاً مطيعاً للدروز ، بل لعاصمة الدروز ، بلدة اسمها « بعقلين » . هناك حيث تتبوأ عرش الآلهة ـ عائلة تقي الدين ـ يزبطر بينهم ذلك الجبار العبقري سعيد مصوباً الى الدنيا طربوشه الاحمر فوق حاجب ، قوسه أفق العالم .

وراحت الحياة تفكك عقداً في النفس وتصوغ سواها . فأنا متحرر من قرويتي ، وعنصريتي ، كافر بها ولكني بدأت أعبد ـ صدقت فمن سواه أعبد ذلك الجبار العبقري سعيد ؟ صليّت له ومجدته طوال ثلاثين سنة . كانت لتعظيمه مؤلفاتي ، وفي سبيل عزه الاموال التي جنيت ، ولاذاعة صيته الاحسان الذي بذلت ، ولتخليد اسمه النادي الفخم ـ نادي متخرجي الجامعة الامريكية ـ الذي بنيت . كان مغرماً بنفسه حين عشق الفتاة التي تزوج ، وبعد

ان صارت ابنتها صبية كانت الجماهير تصفق لظفره حين تصفـــق لموسيقى تعزفها ابنته على « البيانو » .

واستفقت . لا ، ان الافاقة لاتكون عفوية ولا فجائية . تبدأ اولاً بشعور وعي يرافقه خدر يتلاشى ببطء مؤلم لذيذ . كنت في بلادي حين انفتحت عيناي ، في مغتربي ، في الشرق الاقصى ، « الفلبين » ، كنت اصيح بالناس اخبروهم من انا ، ومن هي أمي . حين استفقت في بلادي لم اسأل نفسي من انا ، وكدت اسمرها هناك بين قدمي . ولكن يداً امتدت الى ذراعي وشدت عليها . واذا هنالك كتاب ضخم كبير بعضه كلمات مطبوعة ، وبعضه دماء وبعضه صفحات لا يحل رموزها الا ذلك الذي يستثيره الايمان . وبين وريقات ذلك السفر صفحات بيضاء تدعوك ان تملأها انت ، لأن هذا الكتاب الكبير الضخم ـ سفر مذهبي ـ يبشر ان فينا قوة لو فعلت لغيرت وجه التاريخ . فافعل واملأ ما تريد من الصفحات على قدر عزمك ومواهبك .

كاذب من يقول لك انه اعتنق مذهباً ، لسبب واحـد من الاسباب . اكثرنا يرث المذهب الذي يعتنق . مذهبي ما جاءني وراثة . وكاذب انا ان قلت انه يمثل ، مئة بالمئة ، كل ما أصبو اليه . ولكنه ـ هذا المذهب ـ يجيب السؤال الكبير الذي تمتمته حين استيقظ وعيي « من نحن ؟ » لا « من انا ؟ » وما يجب ان نكون . ويخط الطريق الى الوصول الى ما يبتعد عنـا كلما سرنا اليه ، لاننا كلما علونا امتد افقنا وابتعد . ذلك القوس تحت الطربوش الاحمر ، هو ابداً في اتساع وابتعاد .

وهذا المخطط لا يرسم لك الطريق فحسب . انه لا يعطيك الخارطة ، بل هو يقول لك ان الخارطة والطريق وعزمك على السير والسير عليها هي كلها عملية موحدة لا تتجزأ . فما انت بصاحب مذهب ان لم تسر ، وتختط ، وتحمل خارطة وتسير على الدرب ، الدرب الوعرة التي لا يقصرها الا سرعة سيرك

مذهبي هو اذن قوميتي اعمل لها في جهاز اسمه حزب

لِمَ الحزب ؟ الحزب هو الايمان . فليكن ايمانك في نفسك ، واعمل له منفرداً مستقلاً . لِمَ الحزب ؟ لِمَ النظام يقولبك ويشل نشاطك ، ويفرض عليك قيوداً ليست من صنعك ؟

لم الحزب ؟

لمَ الجيش الدولة ؟ لمَ الملاحون المركب والطائرة ؟ كل مذهب ليس له جهاز تنفيذ ما هو بمذهب ، انه رأي لا قيمة له . قد يتبادر الى الذهن ان الفرد يصح ان يكون جهاز المذهب . قد يصح هذا على بعض المذاهب . الوجودية تقدر ان تمارسها وحدك . الرمزية في الشعر يكتبها قلم واحد تحركه يد واحدة . اما القومية ، وهي تهدف الى تقوية مجتمع ، فلن يكون الفرد فيها فعالاً كل الفاعلية إلا اذا انصهر في جهاز يفولذه . النظام يبقي القوة ـ بعض هذه القوة هي الحرية ـ بتنفيذ الواجب .

ولفظة « انصهر » هنا ما هي بخمسة احرف . انها التخلي عن الكثير ، واحتمال الكثير ، والتعود على اشيـــاء غير مألوفة قد تكرهها ، والتسلط على الكثير ، ومحق الكثير ، مصاعب فكرية ، وجسدية ، ومناقبية ، تتحمها وكلما غلبت واحدة منها استشعرت

بالقوة فلا تتحقق ان هذا المذهب قد فعل في نفسك الا بقدر ما هو يهيأ فيها من قوى فتأتيك ـ او تترسخ فيك ـ الشجاعة الجسدية والادبية ، وتستقيم مقاييسك حتى لتمشي حافياً وتحس انك منتعل جزمة عسكرية ، وينتهي بك الامر الى الاكتشاف ان هـــذا المذهب الذي صهرك فرداً في فريق مقاتل ، وسحق انانيتك من اجل خير مجتمع وامة وشعب ووطن ، قد عززك فرداً ، فتشع تلك النون القابعة بين سروتي الألف فإذا أنت حين تسمع سؤال « من نحن ؟ » لا تغضّ الطرف لأن « أنا » هي جـــزء من « نحن » . واذا انت انسان اقرب الى الله ، واحب الى الجيران والمواطنين ، واذا أنت انسان ارفع ، لأنك مواطن افضل .

يقول علماء الذرة ان ذرات جسد الانسان تتغير ، او يتغير منها 98 بالمئة كل سنة . فهل يتغير الانسان مرة كل سنة ؟

مذهبي فتى يبقى دائماً في ريعان الشباب ، انـــه ربيع الحياة الدائم لانه حركة حياة . انهـا حركة توحي بأكثر مما هي تنص . ان ذراتها تستبدل ليتجدد جسدها ويفعل عقلها

مذهبي هو الحركة السورية القوميـة الاجتماعية التي تعلي شأن الفرد حين تجنده نفراً في جيش ، وتسير بنا نحو الحـــلم الكبير لتحقيق الانسانية الشاملة حين تعد احدى وحدات هذه الانسانية ـــ أمتنا ـ فتجعل منها مجتمع حرية وقوة وواجب ونظام .

نحن نخاف التاريخ يا سمو الامير

يوم جاء جلالة الملك سعود – وكان
اذ ذاك لا يزال ولي العهد – الى بيروت
تفجرت أنهار المديح وطوفانات التملق
التقليدية .
فكان المقال التالي والرسالة التي تليه:

منذ أيام والعمال يرفعون اقواس النصر لاستقبالك ، والخدم يعـــدون القصر لاقامتك . ومتسولون ، بعضهم في مرتفعات السلطان ، وبعضهم في شرفات الفصاحة ، يعملون الفكر في سبيل تصيّد لفتة من سموك – لفتة تترجم الى درهم من مال او درهم من جاه .

إنهم لا يمثلون أمتنا ، هؤلاء المتهافتون . ولئن انبرى احـد ابناء هذه الأمة لمخاطبتك فلأنك ما انت بالغريب البعيـــد عنا . إنك من حراء اللغة التي تكتب بالقـلم « فاقرأ وربك الاكرم ، الذي علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم » .

أنت من أمة كانت لها عزتها ، وما هانت سيادتها يوم قالت الدنيا في رسولها :

وراودته الجبال الشم من ذهب عن نفسه ، فأراها أيما شمم

وأنت يا سعود ، مواطن دولة عربية هي إحدى دول العالم العربي الذي نشيد ، والذي من اجله شئنا جبهة عربية نتجند في متاريسها .

وإن شرد من هذه الرسالة قول ما هو من مألوف من عبارات الترحيب ، فعذرنا اننا من أبناء الحياة الذين جعلوا اقصر المسافات تلك التي لا تفصل قلوبهم عن شفاههم ، وان هـذا الكلام الذي يصاغ من أجلك ، يخط واطياف الشهداء ماثلة توحي ، وصراخات المتشردين تدوي ، وعيون أحرارنا من الاسرى والمبتعدين تحملق بكم وبنا ، وأعداء لأمتكم وأمتنا — مغتصبو ارضنا — رابضون بينكم وبيننا — أعداء كواسر جاعت موائدهم وشبعت معاقلهم فهم متحفزون للوثوب عليكم وعلينا .

كل هؤلاء ، وكل هذا ، يجعل من واجبكم الاصغاء كما يجعل من واجبنا ارسال النداء .

نحن لا نذكر الكارثة لنستدر دمعة . نحن لا نؤمن بالتحسر ، ولا بالعتاب . « وذكّر إن نفعت الذكرى » . فنحن نذكر لننتفع لا لنتحرق . نذكر ان العدو ما كان سيفه عند أعناقكم وأعناقنا ، لو لم ينهزم أكثرنا يوم جبن البعض عن بطولة الفعال ، وخرس آخرون عن بطولة المقال . وها هي الحياة ، وما بخلت عليكم ، تسخو من جديد إذ تفسح امامنا مرة ثانية — وقد تكون الأخيرة — فرصة البطولات .

لقد تركت يا ولي العهد الدولة ، دولة تشيعك فيها أقواس النصر ، ونزلت دولة تستقبلك فيها أقواس النصر . على من انتصرنا؟ على ماذا انتصرنا ؟ سل جلالة أبيك كيف يكون النصر ينبئك انه

إيمان تسلح . وان اعداءكم واعداءنا ، يا طويـــل العمر ، آمنوا وتسلحوا . فكثرت مصفحاتهم وقلت سياراتهم . لقد انتصروا حين آمنوا بذلك النوع من العطاء الذي لا يشجع الاستعطاء ، فألبوا الجند لا المتسولين ، واصغوا الى الصادقين لا المتملقين ، وفهموا السيادة قوة حق فاعلة قادرة ، لا أغنية تبـــدأ بطرب وتنتهي بنواح .

نرحب بك ، يا سمو الامير ، لا كضيف جـــاءنا في زيارة ملوكية . بل كمواطن كبير الشأن في دنيا عربية ، فجرت ينابيع قوة عالمية ، وطاقـة بشرية ، تسنم عرشها ابوك حين آمن وتسلح فانتصر — دنيا ما غلبت يوماً على امرها كما غلبت يوم كفرنا نحن بالحق فلم نعد له ، وآمن اليهود بالباطل فتسلحوا له .

هي ايام قليلة ستقضيها في بيروت ودمشق ، يا سعود . نحن نخاف التاريخ — ذلك الشيخ القاسي الذي لا يستعرض الحقائـق إلا عارية . ليكن لك في كل لحظة عمل . كل ما تفعله في سبيـل لبنان هو في سبيل السعودية . وغـداً ستستعرض في الشام قوى مسلحة ، هي تصون الرياض ، حين تدافع عن دمشق فإن الذين استباحوا القدس الشريف يشوقهم ان يستبيحوا مكة المكرمة .

إن العلم والحق والحقيقة خطباؤنا وشعراؤنا حـين نصارحك أن ما تبذله لمصلحـــة أمتنا هو في مصلحة أمتك ، فأخطاركم أخطارنا ، وقد يكون في مكاننـا من الخارطة ما يجعلنا أفعل في تلقي الضربة ، وارسالها ، عن العالم العربي ، ومن العالم العربي .

معذرة يا ضيفنا الكبير ، فالتاريخ يحمل ساعة لا يسمع دقاتها المسرعة ، إلا من أرهف التاريخ سمعه .

السيد فهد المارك

مندوب مقاطعة اسرائيل
في السفارة السعودية ـ بيروت

سيّدي

لسبب يتضح بعد سطور ستدرك ، يا سيدي ، لماذا ابطأت بالجواب على رسالتك تاريخ 6 ايار .

غير اني أود ان اشكرك شكراً حاراً لا يليه أدب المراسلة فحسب على توجهك إليّ بكتابك المذكور .

وانني واثق انك لا تبغي تصيد المديح ولا شراءه . فمن الواضح ان هذه القمة التي أحيا في ذروتها ويحيا فيها رفقائي ، حرّم فيها القنص على مدار السنة ؛ وما كانت فيها الكلمة ، ولن تكون سلعة برسم البيع ، بل ان الكلمة كانت فيها ، وستبقى ، افصاحاً عن فكر وعاطفة كثيراً ما يتزين بها نبيل فقير ، ويعرى عن ارتدائها ثري امير .

لذلك ابتهج بسؤالك عن الأثر الذي تركته زيارة سمو الامير سعود ، موقناً ان غايتك التعرف الطاهر الى المنافع التي جناها

العالم العربي لقاء ما بذل سموه وبذلناه من وقت ومن مال .

واخالك على معرفة تامة ان الفريق الذي يشرفني ان اكون في معسكره يؤمن بالعروبة الصحيحة ويهمه ان تأتي زيارة امير عربي توظيفاً نافعاً لجهد ومال لا هدراً لهما ولا دعسة مغلوطة على محرك سيارة العروبة يقذف بها الى الوراء بدلاً من دفعها الى الامام

كذلك لا أجد تصادماً بين نشاطك في المفوضية كمندوب لمقاطعة اسرائيل وبين اهتمامك بنشر كتاب عن الانطباعات الخاصة التي تركتها زيارة سمو الامير . فنحن الذين نؤمن بمدرجية الحياة نفهم مظاهرها التي تبدو للجاهل أو الساذج ، متضاربة

ننطلق ، ياسيدي ، من قاعدة رئيسية واحدة هي اننا نحن هنا وانتم في المملكة العربية السعودية ، نعيش في لذاذات الاعزل المترف ، وفي ظلال حراب جائع مسلح اغتصب بعض دارنا ، ويتحفز لاغتصاب دارنا ودار كم وهو في رأي الكثيرين قادر على الظفر ساعة يريد .

اذاً فسؤالك يجب ان يصاغ في كلمات ثانية قد تصبح قراءتها هكذا :

« ما الذي فعلته هذه الزيارة في سبيل اقصاء ظِـــلال حراب العدو الذي يهددكم ويهددنا؟ » . والجواب يتناثر في اجوبة كثيرة . فانه من الجميل ان يكون سمو الامير قد تعرف إلينا والى بلادنا ونحن قد تعرفنا اليه . وانه من المسرّ ان يكون سموه قد تحدث الى جلالة ابيه في الليلة الثانية من اقامته بيننا ، فسمعناه على الراديو

الخاص يهتز صوته قائلًا : « ان لبنان زحف لملاقاتنا حوريا ورجاجيل . »

كانت في صوته غنة بدوية تستحب ، وحمية عاطفة ، سرّنا ان أوحيناها . ومن المعروف ، يا سيدي ، ان سموه وهب الكثير من الاموال . بعضها كانت دعسات مغلوطة ، وبعضها كان خطوات في السبيل السوي .

ولو ان سفارتكم تنشر ماظهر في ذلك الكتاب حيث وقع عليه القابضون ايصالاتهم فعرفنا كل الاسماء وكل المبالغ لاتقينا خطر حكم يبنى على معلومات ناقصة لا يعززها إلا الحدس والتخمين . ولكن مبدأ الهبة هو مبدأ مغلوط ، وقد ينتهي العالم النفسي الذي يتحرى الحوافز الى تصنيف الكريم والشحيح في مقعد واحد هو الاثرة فتنقبض كف البخيل مدافعة عن انانية ، وتبسط كف الكريم ناشرة انانيته . لذلك نراهم نظموا الاحسان في الغرب ومن اجل هذا علقت الكاتبة الاميركية (دروثي طمسن) بشيء من الهزء على ما رأته في « جده » من كرم بقولها :

« والعطاء عند هؤلاء الناس يعد فضيلة » .

هذا تعليق امرأة فاضلة عرفت بصداقتها لنا وعرفت انها تنتمي الى أكرم شعب عرفه التاريخ . وهي بقولها هذا تعني ان الهبات للأشخاص هي عادة شرقية تشبه الرذيلة وقد تهدم خلق الواهب والموهوب ، وانه في العصر الذي يجب فيه علينا ان نبني دولة ونكشف عن قوى أمة يجب ان يأتي البذل لهذه الدولة ، وفي سبيل هذه الامة لا بخشيشاً يرمى في كف متسول . لكانت

هذه الزيارة اكثر نفعاً ، لو ان ما بذله سمو الامير جـــاء قرضا لدولة او اعانات لمؤسسات عامة ، ولكان اجدى لنا ولكم ان يبذل هذا المال لا للمداحين والمستجدين ، بل ثمناً لقاذفة او لبعثة عسكرية او لتشييد مستشفى خيري .

اما اذا تعدينا المال والهبات فاني لأذكر ان في بيروت اليوم سياسيين ثلاثة ، كنت اتصل باثنين منهم تلغرافياً وتلفونياً في كل ليلة من مانيلا (الفلبين) حيث كنت مقيماً ، وكان هؤلاء الثلاثة في نيويورك اعضاء لوفدين من وفود الدول العربية ، واني اذكر بحرقة وبألم ما سمعته من احدهم ذات ليلة على التلفون وفي إبان معركة التصويت على تقسيم فلسطين ان الكارثة تحجبها كلمة تصدر عن المملكة العربية السعودية ، تلك الكلمة التي لم تنطـــق بها مملكتكم يا سيدي سنة 1947 . وانه ليؤلمني ان اقرأ اليوم عـدد 20 مايو من جريدة (الهرلد تربيون) انباء مقابلة فوستر دالز مع سمو الامير فيصل وزير خارجيتكم فأجد انهما تحدثا في الرياض عن العلاقة الودية التي تربط مملكتكم بأميركا فأستمع وزير خارجيتكم الى دالز يقول :

« انه سيسعى الى تحسين العلاقة الاميركية والدول العربية ، وانهما بحثا ببعثات اميركية تأتي الى السعودية وانهما تحدثا عن مشكلة البريمي مـــع بريطانيا وانهما جـــاءا على ذكر آبار الزيت وآبار الماء . »

يؤلمني يا سيدي ان لا تنطق السعودية اليوم بالكلمة التي كان يجب عليها ان تنطق بها عام 1947 . وانه من الظلم ان نتجنى على

المسؤولين في المملكة السعودية فنقول ان الذنب ذنبهم وحدهم . الذنب ذنبك يا سيدي وذنبي انا وجزيمتك وجريمتي وجريمة هؤلاء المتعاظمين المحيطين بالمسؤولين في بلادك تستثيرهم نفسية الفراشين والحجـــاب والخصيان و (الكورتزان) فلا يسعفون الأمراء وسواهم على تفهم الامور ، وهؤلاء لم تترسخ فيهم بعد عقليـــة الدولة وما تحرروا من فضائـــل البداوة التي ما عرفت الدولة ، وعرفت القبيلة .

هل اغتنمنا من وجـود سمو الأمير بيننا فرصـــة لايضاح المسؤولية الكبرى ولاستثارته لتجنيد قواه الهائلة من ماليـــة واستراتيجيـة ؟ ام اننا اقتصرنا في حفلاتنا وضيافتنا على التملق والترفيه ؟ قد يكون من الظلم ان نصـدر حكما باكراً ، ومن العدل والروية ان ننتظر الأسابيع المقبلة لنتثبت من ان هذه الزيارة عوضت عن موقف السعودية عـام 1947 او انها ايقظت ضميرها .

اما من الناحية الاقتصادية فمن الواضح ان انفاق مليون ونصف ليرة او مليونين ليرة وهو المبلغ الذي انفقه سموه هنـــا لا تضر بلبنان ، ولكنه كان انفع للبنان ان يصدر تشريع في جده يبيح اسواقها للفاكهة اللبنانية ويمنع عن السعودية الفاكهة الأيطالية التي تكاد تحتكر اسواقكم .

اما في ما يتعلق بشركات النفط وعلاقاتكم معها معروفة ، فهل اغتنم احدهم او اغتنم سموه هذه الزيارة ليتفهم ان الذين سرقوا حكومتهم لا يأنفون من سرقة حكومتكم وان الذين تحاكمهم

محاكم العدل في بلادهم يستحقون ان تحاكمهم محاكم العـــدل في بلادكم . وهل تقصى في بيروت خلال هذه الزيارة لماذا عقد مجلس الأمن الأميركي جلستين في عهد ترومن وفي عهد ايزنهاور وتقدم الى النيابة العامة في وشنطن سائلا ان تمنع التحقيق الجنائي عن شركات النفط صونا لاسماء اميركية وغير اميركية تشتغل في دوائر الاستخبارات ؟ وهل تساءل سموه، وهو يهز الأيدي ويتقبل الترحاب في بيروت من مواطنين لنا وغير مواطنين، وممن يتمتعون بثقة سموه وينعمون بعطفه وعطف اسرته عن الحلف الشرير الذي يؤلف بين افراد هذه العصابة ؟ وهل تقصى سموه وتقصيتم ـ بحكم مهمتكم كمندوب لمقاطعة اسرائيل ـ وبيروت قاعـدة الجاسوسية والتهريب لاسرائيل ـ في اي وخم ازدهرت بواسق بعض الأشجار في هذه الغابة وفي اعماق اي ظلمة غابت هذه الجذور ، ومن يدفع ومن يقبض ليرش على هذه القاذورات أغلى العطور ؟!

هل اخترقت الاصوات الصادقة هذا الكوردون الذي سوّر سموّه فسمع ان ليس له في دمشق وبغداد وعمان الاّ كل صديق وكل حليف ، ام ان مسمعه لم يصغ الاّ الى تجـــار الوشاية ومستغلّي التفرقة ؟

اية انطباعات احدثته زيارة صاحب السمو؟استمع الى الجواب من تل ابيب تعلنه اذاعتها ـ انهم اقاموا معرضاً للاسلحة بعضها الرشاش الذي اطلقوا عليه اسم « هوزي » . وانت يا سيدي تريد ان تصدر كتاباً ماؤه مديح وثناء اكثره مشترى بمال .

هلاّ قرأت اسرار سقوط فرنسا المفاجىء في الحرب الاخيرة وهي

الدولة التي لعبت ادواراً رئيسية في تاريخ الدنيا ؟ رجوتك ان تطالعها لتتعرف الى من سبب سقوطها . حتى لو اطرحنا المثالية جانباً لوجدنا في الخطر الذي ينقض عليك وعليّ وعلى سموه مـــا يجعل هذه الصراحة واجباً بسيطاً ، ويسم التمويه بطابع الخيانة .

لك ودي ، ولك رجائي ان تجعـــل من نفسك في وظيفتك وحياتك ونشاطك جندياً يطيب له الحرمان وتطيب التضحية .

نحن اقرب الى النار مـا تظن . انهم يربون في « تل ابيب » البزاة والصقور والعقبان ، ونحن هنا نتلف اعشاشها

رجوتكم يا سيدي ان لا تصدر هذا الكتاب

رفة جناح

خفق الاجنحة

كنت قبل انضمامي للحركة القومية الاجتماعية انشر عبارات قصيرة تحت عنوان « رفة جناح » وصرت انشر مقالات تحت عنوان « خفق الاجنحة » هذا بعضها :

obeikandl.com

مالك وللاحزاب !

ما لك وللاحزاب ؟

نصيحة في سؤال يلقيه عليك حكماء هذا البلد الذين يتطوعون لوصف كل الادوية ويعرفون كل داء .

وهؤلاء هم المثقفون الواعظون النـــاضحون بالمعرفة ، المصرعزون (١) بان مجتمعنا لن يستقيم الا بالحزبية المنظمة .

اما كيف يوفقون بين التبشير بالحزبية والنهي عن الاشتغال بها ، فامر يدق عن افهام النـاس ، الا الذين يدركون ان فلسفة بعض القادة ، في هذا البلد ، مخنثة ، تريد ان تربح المعارك من غير ان تخوضها . ويفهمون النهضة رواغاً وسياسة ومساومة وشانتاجا ، ويجهلون انها تربية شعبية تنطلق عملاً وتصارع .

لا يليق بان يعتنق عقيدتنا القومية الاجتماعية من يؤثر البقاء في ملجأ — من مركز سياسي أو مالي .

ولن ينال شرف مرافقتنا من همه اكتساب الحصانة في الحياة .

ويسألونك لماذا لا تتروى ؟

---

(١) صرعز — أسرف بالكلام . من صرح عزام ، امين الجامعة العربية .

الشلل ، هو نشاط يتروى .

الانحطاط ، هو تقدم يتروى .

بقيت تركيا مئـــات السنين تتروى ، وتحتضر : ثم افاقت ووثبت .

ونحن في زمن وجب ان يصبح الاسراع فيـه بعض عناصر الروية .

obeikandl.com

زحزح الصخر

كنت اشعر بزهو حين يرن التلفون فاسمع صوتاً يداعبني بل يستعطفني سائلاً مقالاً – أي مقال ؟ .

كنت ارتجف خوفاً حين اسمع أزيز الطائرة ، فاذكر شهور الغارات الجوية في المهجر .

كنت لا استطيع الكتابة إلا في الصباح بعد ان تتلىء عروقي بالقهوة وينتشي سمعي بالموسيقى .

كنت اهلع حين اسمع انتقاداً او اشاعة مؤذية

كنت اسكر بالمديح

كنت ألتذ بتصدر مجلس ، ورئاسة جمعية ، وإدارة مكتب ، وباصدار أمر ، وبالاستمتاع بمظاهر الطاعة .

واليوم يرفض رفة اجنحتنا من كان بالامس يتحرق لنشر جناحي ، فأزهو .

وفي وسعي ان اركب الطائرة التي كنت اخافها ، فادور حول الدنيا ولا آبه .

وينطلق قلمي على الورق في الليل والنهار من غير قهوة ولا

موسيقى .

ولا يهمني الهزء ولا النقد ، ولا التجريح ، ويطيب لي انه اصغي وأأثر ، فأشعر بالقوة وبالجرأة في الروح وفي الجسد .

نشوة لا يتحسسها ، ويهزأ بها القابع في كهف الرخاء ، والحذر والحيرة ، من يقنع نفسه بأن ليس خارج الكهف لا شمس ، ولا هواء نقي ، ولا رفقاء .

زحزحِ الصخر عن باب كهفك ايها الخائف الحائر ، واطفر الى الشمس ، فتكتشف انك كنت تعيش وحدك في العتمة ، واصبحت تحيا مع ابناء النور - ابناء الحياة .

اود ان اذيع عليك سراً قد احاكم نفسي من اجله :

رأت « النهار ـ كل شيء ـ الاحد ـ صدى لبنان ـ الاجيال ـ البيدر » وكبرى جرائـــد سوريا ، ان لا تنشر اي اطراء يوجه الي .

هذا الخبر الصغير يحمل في طيه سر العقيدة القومية الاجتماعية ومعدن قوتها ـ وهو انها ايمان يحياه معتنقوه اذ يعلنونه . فما دام بعض مبادئنا ان يذوب الفرد في المجتمع ، فمن الضروري اذن ان لا تنصرف جرائدنا الى تمجيد احد من كتابها . هكذا يمارس ابناء العقيدة ما به يبشرون .

هل استمعت الى بائع يذرع لـــك القماش ، فيما هو يقسم ، ويكذب ، وينافق ، ويغاظ الايمان ، وخلفه رقعة كتب عليها « شعارنا الصدق » ؟ هذا شأن باعة المبادىء وتجار الوطنية . ان قوة القومية الاجتماعية وما يميزها عن سواها هي انها بضاعة اصيلة ، واني اصارحك فوراً بأن الذي استهواني هو ما قدرت هذه العقيدة على تنفيذه في نفوس ابنائها . فلو ان الحياة كانت جدلاً ، وكلاماً

وخطباً ، ونظريات ، وتصاميم ، لحار العاقل في اي طريق يمشي . اكثر من تلقاه يفيض مواعظ ومبادىء . في الكثير من مناهج الاحزاب ما يستفز التصفيق . الكريم واللئيم كلاهمـــا يجهران بحبهما للحق . مزية الكريم انه يضمر ويحيا ما الذي به يجهر .

واني في هذه الرسائل متوجه الى غير القوميين الاجتماعيين . انا احاول ان اجيب على السؤال البسيط الذي يفوه بـه المواطن الصادق الحائر الذي اهمل دراسة هذه العقيدة ، او الذي فاته ان يلاحـظ حيويتها في ابنائها ، او الذي اختلطت عليـــه صحتها من الانبـــاء الـكاذبة ، والاشاعات وغوغاء الاحـاديث من عنف وثورة وعصيان ، ومن محاولة اعدائها تجريح صيتها وتهديم قلاعهـــا .

لقد كنت مثلك يا مواطني ، اجهل ماهي القومية الاجتماعية . فلما باحثت القليلين من ابنائها ، اكتشفت انها هي ايماني ومبادئي . وستكتشف انت ايها المواطن ان هذه العقيدة هي إيمانك ومبادؤك . غير ان ارادتك اليوم مشلولة ، وكذلك جهودك مشتتة . الايمان يشدها وينظمها وينضدها . في كفك الحبات ، وفي وسعك ان تجعل من هذه الحبات نفسها قلادة ـ حين تنضم الى النادي . وان انت لم تفعل ، فستبقى مساعيك مشوشة ، وعلى الاكثر ضائعة ، ولن تقوى على اقناع نفسك بأنك ادّيت واجبك نحو مجتمعك ، بل تظل اعمالك المشكورة دفعات على الحساب صغيرة ، وتبقى انت غير مسدد الحساب الكبير .

لقد مرت بي ايام ـ بعضها سنوات ـ كنت اعجز فيهـــا

عن شراء ثوب لجسدي ، او كرسي لبيتي . ولكنه لم يمر بي يوم عجزت فيه عن شراء صحيفة او مجلة او كتاب . منذ 32 سنة اقرأ الكلمة المطبوعة في امهات الصحف والمجلات وفي كتاب او كتابين كل شهر . ولقد خلصت الى الاعتقاد ان أشد انواع الغباوات ، هي غباوة الثقافة . فان كنت يا مواطني تريد ان تتفهم عقيدتنا عن طريق عينيك واذنيك وعقلك ما اختزن به من منطق ومعلومات وقوة ملاحظة مرهفة منعتقة من الخضوع لاقطاعية التفكير ، فأنت وانا رفيقان منذ هذه اللحظة . واما ان آثرت ان تأتي بالشواهد من بهروز بهرام المولود في بومباي ، او المؤرخ فرقحفوش المستكي المتوفي في القرن التاسع ، فيؤسفني ان نفترق الآن وهنا . فاننا نحن رفقاء العقيدة نحيا هذا اليوم ونستعد للحياة في الغد ، ولا نفهم من الماضي الا ما نستطيع ان نشده قوة الى حاضرنا ومستقبلنا

تعال إذن ، واذكر اننا في سنة 1000 و 900 و 2 و 50 وانك تريد ان تتجند لخدمة امة . لذلك تعوزك الشجاعة . واول خطواتك الجريئة هي ان تحاول تفهمنا وتفهم تعاليمنا بتجرد تام .

واننا لنصارح الذين يهمون بهذه القفزة الينا ، اننا لا نفتح الباب لزبائن سينما يدخلون القاعة ليجلسوا فيها على الكراسي متفرجين . نحن جبهة صراع وتضحية ، وايام الجهاد امامنا . لن نأمل من غدنا ان يكون اشد رفقاً بنا من امسنا ، كلما اعترضت سطورنا نقطة حمراء ، نعلم ان عبارة انتهت ، وعبارة بدأت .

اكتشاف ..!

من الناس من لا يتذوق الطعام الا وهو لابس الردنكوت وجالس الى مأدبة تبدأ بتقديم الشوربا وتنتهي بجبن الركفورت. هؤلاء لا يفهمون الحروف الابجدية الا اذا عرضتها عليهم بالترتيب من الهمزة الى الياء، غير فاطنين الى ان ليس للحروف من اهمية الا متى تنسقت كلمات لها معنى .

لم يكن الغرض من هذه السلسلة معالجـــة العقيدة القومية الاجتماعية بالاساليب المألوفة فنردد ماقيل فيها، ونعيد نشرتها اليها. ففي المقال الاول ذكرنا ان ما يعنينا من المجتمع هو كيف يجب ان نحيا فيه . وفي ما تلاه اثبتنا كيف نفذت العقيدة الايمـــان بالشعب فايقظت فيه الكرامة الانسانية وجعلته يستشعر القوة بنفسه وامته وثقته بهما .

وفي المقال السابق شرحنا كيف نشأ النظام وهو من مقومات الحياة وعناصر الاقتدار . واليوم نجيء على ذكر « الولاء » ، وحين نفرغ من ذكر هذه الفضائل التي نمارسها ـ واهمية الفضيلة ممارستها ـ عدنا الى الجذر وقلنا كيف جاءت الاثمار . عدنا الى

النصوص ففهمنا مبعث القوة .

نحن شعب عاطفي ، لذلك جاءت فضائلنا ونقائصنا حادة . نسرف في الود كما نسرف في العداء . اذاً فليس بمستغرب ان يأتي ولاؤنا عنيفاً صارخاً وهاجاً . هي فضيلة كبرى لو ضبطناها ، ولو انها توجهت الى الغاية المشروعة النافعة لكنا دولة عظمى . الولاء للطائفة هو بطبيعته عداء لطائفة او طوائف . والطائفة وليدة الدين . ففي قصر الجهود على خير اي طائفة كفر بالدين وتهديم للمجتمع الذي نسميه امة . الولاء لدولة اجنبية هو الخيانة . الولاء للمير والبيك والشيخ هو من انواع العبودية التي تتنافى مع الكرامة الانسانية . الولاء لكل من ولي الحكم هو خنوع وسخ تعطر بالكولونيا ، وتجارة من نوع حديد بقضامي .

لأول مرة في تاريخنا الحديث ينطلق الولاء مهدماً الحيطان التي سوّرت جهودنا فيعلن جهاده في سبيل فكرة وامة . ولقد اثبت هذا الولاء انه جوهر صاف وانه معدن ، لا مصنوع سنتاتيكي بدليل انه لم يفن حين تبعثر ، ولم ينعدم حين سحق ، وانه ينظم نفسه ويتألف ابداً في سبيل عمل ايجابي . لقد سما ابناء العقيدة الى ذروة الوعي القومي حين استشعروا الولاء المطلق لأمتهم . الولاء الصافي الصلب للفكرة واللامة لم يستشعره وينقذه الا ابناء هذا الايمان .

ان اولى واجباتك يا مواطني ، ان كنت في حقيقة الامر متوثباً الى المساهمة بحركة الانقاذ ، ان تعتنق هذه العقيدة . وستجد انك قد احسنت الى نفسك كثيراً حين تخطو . فمن قصد الى النور اكتشف ، لأول مرة ، من مباهج الحياة ان عينيه تبصران .

در المعرفة وبلّوطها !

[هذا المقال كتب رداً على مغالطات شاعر]

كثيراً ما يجدب الفكر حين يخصب اللفظ . ورب اديب احسن الى نفسه لو اقتصرت جهوده على الانتاج في نطاق مواهبه فراح ينظم الشعر ، ويترسل في الانشاء الفخم ، فلا يتوهم اذ ذاك ولا يوهم قراءه ان في جزالة اللفظ بديلاً عن وضوح التفكير ، وفي تصيد النقاش معذرة عن الانتاج في حقل يتحتم على المشتغلين به مجابهة الحرمان والتضحية والصلابة ـ وهذه الفضائل ما هي من مرادفات الشاعرية ، والبلاغة والترسل .

في « نهار » سابق ظهر مقال وقعه « ثعلبة » ـ مقال يلاطم اوله آخره ، ووسطه حائر يتلفت بين طرفيه ـ يتساءل فيه كاتبه ـ بين مد الانشاء وجزر التفكير ـ عن العقيدة والطقوس ، ثم هو يذكر شيئاً عن بعض العقاقير . اما الطقوس ، فنحن لم نتحدث عنها لسبب بسيط ، وهو انه ليس عندنا طقوس فلماذا جاء صاحبنا على ذكرها ؟ وأما الأدوية فكل ما أعرف عنهـــا ان بعض البرشانات السامة تطلوها حلاوة ملونة . واما العقيدة التي يريد شرحها ، فقد شرحها مبدعها في اثني عشر كتاباً ، وشرحها معتنقوها في الوف من الصفحات خلال عشرين سنة من جهاد وتضحية ودروس

ونقاش وبحوث . فهل يريدني المستفهم ان اقضي العمر مردداً : « يا ليل » ؟ وهل هو حقاً يتوخى البحث في جوهر العقيدة؟ اذاً فلماذا لا يمد يده ويتناول مجلداً يقرأ فيه الاصل والشرح؟ بل لماذا لا يمعن النظر في القطع التي نشرتها « النهار » و« كل شيء » و« الاحد » فيجد اني اوضحت الواضح في عبارات لا تسبح في « مياه البحيرة » ولا تتزين « بالدر والياقوت : در المعرفة وياقوت المحبة » . ثم هو ينكر علي ان ابحث « في اعمال هؤلاء الذين ساروا على هذه الطرق ، واجتازوا تلك المسالك » ويرجو « ان لا نتعب الاقلام في التحدث عن المؤمنين بالعقيدة » . ياجميل – يا حلو – يا لطيف – الله يخزي العين ! . يعني ان كل ما في الامة هو دستور الامة . اما تنفيذه والقائمون على تنفيذه فليس لهم اهمية . يا لسمو التفكير ! يعني انه يجب على المزارع ان يفني السنين متحدثاً عن كتاب « زراعة التفاح » ، اما جنينة ريشار عبد النور في « المدرج » فلا تستحق الالتفـــات .

هذا هو المميز الاساسي للعقيدة الاجتماعية ، اذ انها ايمان يمارسه معتنقوه ، وغيرها من العقائد ايمان يتغنى به من ينادون عليه . وقد سطعت هذه الحقيقة في 22 الشهر الماضي – يوم الاستقلال – اذ انه في الساعة التي كان فيها الذين يفهمون العقيدة طقوساً من اغان ، ومشاعل ، وخطب ، واستعراضات ، واذاعات ، وافتتاحيات ، يملأون بهـا شوارع بيروت ، كان فتيان من القوميين الاجتماعيين يتفقدون قبراً منسياً ، لرفيق لهم استشهد وحـــده في معركة الاستقلال (عين عنوب – بشامون) واسمه سعيد فخر الدين .

كان يبحث في ذلك اليوم كبير اولاد الشهيد عن عمل يرتزق منه ، وفي اليوم الذي ابتعد به سائر اولاد الشهيد سعيد فخر الدين عن المدرسة لأن حكومة هذا المجتمع قطعت عنهم المنح ، كان المؤمنون بنظرية « ثعلبة » يبحثون في مغزى الاستقلال ، ويجدون ابطاله . اما القوميون الاجتماعيون فما تفننوا بل مارسوا ايمانهم فاتخذوا الخطوات العمليـــة لتأمين عيش اولاد الشهيد ، وتجسيد العزة الوطنية في بناء ضريح لمن فهم «جوهر العقيدة» ومارسها استشهاداً .

هذا هو الفرق بين « دار المعرفة » وبلوطها . ولك مني «ياقوت المحبة » يا « ثعلبة » .

مدرستان ..!

[الملاحظ في هذا المقال أنه كتب من غير ان يعطي النائب العام سلاح الاتهام القانوني . وظهر على أثر وشاية تقدم بها احدهم ضد رفقائنا الذين ما زالوا في السجون .]

السفر مدرسة ـ الجندية مدرسة ـ الحياة مدرسة ـ ولقد سمعتني اقول ان القومية الاجتماعية مدرسة .

غير انه ليس للحرف المطبوع ، مهما شع ، ان يستطيع بمثل روعة الوقائع . لذلك اريد ان احدثك عن مدرستين وهما في سجن . ولكني ارجوك ان تذكر اننا لا نتحدث عن القوميين الاجتماعيين ولا عن سجن القلعة ولا عن بيروت ـ هذا امر مهم يجب ان تذكره انت وان تذكره ـ النيابة العامة ـ لو فرضنا انه ، مثلاً . فانها رسالة تلقيتها من « الفلبين » تحدثني عن حركة « الهوكبلاهب » في احدى الجزر التي تدعى « مامباهو » وانتهى الأمر ـ موقتاً ـ بأن دخل السجن باحكام مختلفة مؤبدة وغير مؤبدة فتيان آمنوا بعقيدة . غير ان مدرسة الحركة التي انجبتهم

غرست فيهم تقوية النفس والجسد والذهن فانكبوا في ساعات النهار على الدرس والمطالعة ، فصار اميهم متعلماً ، والذي يحسن القراءة منهم مطالعاً متفهماً . فعلوا ذلك ـ كفتيان ـ نظام ودربة ـ ضمن القوانين ، روحها وحروفها ، التي تسود السجن . وكان على الحاكمين ، وقد صفوا الحساب معهم يوم عزلوهم عن الناس ان يوفروا لهم هذه الثقافة التي وفرها المساجين لنفوسهم .

وارتجفت الارض مرة ـ وكثيراً ما تهتز الارض في الفلبين ، ويؤكد علماء الجيولوجيا انها معرضة للزلزال ـ فاغتنم السجانون هذه الفرصة ووشوا بالمساجين انهم جماعة شغب وقلاقل وانهم هم الذين يزلزلون الارض .

والسجانون مثل سواهم من الناس هم خريجو مدرسة ايضاً . ولكن هذه المدرسة تبشر بهدف واحد هو الوصول الى مراكز النفوذ . ولا بأس ان تسلك اليها اسباب الوشاية والرشوة والكذب على حساب النفوس البشرية فاتخذت الاجراءات الزجرية بحق المساجين .

انت ياسيدي القارىء تجد في هذا السجن مدرستين : واحدة تنشر النور في ظلمة الحبس ، وثانية تنشر الظلمة خارج الحبس . اناس ينامون على مضجع الخوف والاسلحة في ايديهم ، ومضطهدون يضطجعون على فراش الطمأنينة والحراب مصوبة اليهم . في السجن مدرسة ايمان ومدرسة سلطان ، واذا كانت المدارس تشكر او تزدل بسبب تلامذتها او خريجيها فلك ان تختار بين اثنتين ، ولك ان تخبرني من هو السجين ومن هو السجان .

ولا تنس ، يا سيدي القارىء ، اننا لا نتحدث عن القوميين الاجتماعيين ، ولا عن سجن القلعة ولا عن بيروت . هذا امر مهم يجب ان تذكره انت وان تذكره النيابة العامة – لو فرضنا انه ، مثلاً .

obeikandl.com

برسم الاجانب

كثيراً ما تلتقي بأجنبي ما فينسحب من تحت إبطه عبارات تلفتُها حلاوة الفصاحة مغلّفة بأوراق ملوّنة من جمـــال المنطق فيبادرك بقوله : « ماذا نستطيع ان نفعل من اجلكم ؟ ليس من حقنا التدخل بشؤونكم . معضلاتكم الداخلية هي آلام في رؤوسكم لا رؤوسنا . ثم انه علينا ان نتعامل مع الحكومات والسلطات الشرعية فاسدة كانت أو صالحة . »

ليفهم الفرنجة ان المواطن الذي يحترم نفسه ويفهم استقلاله لا يرع مستنجداً بالغريب . نحن لا نطلب تدخل الاجنبي بل نحتقر من يطلب تدخله . واننا ليخجلنا ان نسمع ان المفوضيات الاجنبية تعنى بشؤوننا الداخلية او الخارجية . ولولا خنوع ارباب السلطة وتهرؤ ضمائرهم وتلاشي قواهم الشعبية لما أذنوا للأجنبي ان يبحث معهم الموقف الداخلي او الخارجي . كذلك لا تمثل هذا الشعب فئة وسمها طابع العبودية يشوقها ان تتمرغ على اعتاب الاغراب ، مستجدية حمايته واشوته واحسانه

نحن نقول للأجنبي : « ليس من حقك ، ولن نرضى لأنفسنا

ان تساهم انت في حملة التطهير التي مافتىء شعبنا يتطلبها. ولكن من واجبك ان تطهر صفوفك. قبل ان تذم اللصوص من ابناء قومنا، فتش على اللصوص من ابناء قومك . وقبل ان تشمخ علينا وتهزأ بمؤسساتنا وانظمتنا ، تطلع الى مؤسساتك هنا كيف تنهب هذا الشعب ، وكيف يحالف اشرارها اشرارنا ، ثم دلني على بادرة صداقة واحدة قامت بها الدول الغربية نحو دولنـــا منذ جريمة فلسطين حتى هذا اليوم .

ان الغربيين الذين يهمهم جداً ان تستقر هذه البقعة من الدنيا وتصبح شعوبها حليفتهم يجب ان يفهموا ان التهويل علينا باخطار الشيوعية لا يكفي لكسب رضانا، ولسنا نحن من الذين يعتقدون ان المعسكر الغربي غير مساهم في افساد الحكومات في اقطارنا .

ان انكلترا في سياستها الخارجية منذ الحرب الأخيرة لم تكن اشد نجاحاً منهـا يوم عكست تفكيرها التقليدي وخرجت من الهند . ولم تكن باشد فشلاً منها يوم استمرت بسياستها التقليدية في ايران ، متبعة سياستها القديمة .

والغربيون بوجه عام لن ينفذوا الى قلوب الشعب ، ولن يظفروا بوده الاّ حين يبدأون صفحة جديدة فيعكسون موقفهم من كل شخص ، وحكومة ، وشعب ، ومعضلة ويرمون بالمنظار الملوّن الذي ما برحوا يضعونه على عيونهم هنا .

منذ اسبوعين مشى في شوارع طهران الشيوعيون والوطنيون متضافرين في مظاهرة دامية .

ليفهم الغربيون الذين يريدون مكافحة الشيوعيين ان جمهور

هذا الشعب يهم ان يتخذ موقفاً هو : عليّ وعلى اعدائك يا غريب !

وما داموا هم يتدخلون بشؤوننا، فاقل واجباتهم نحو نفوسهم، وسلامة مصالحهم ان يوجهوا نفوذهم هذا، غير المشروع، في السبيل القويم المشروع .

obeikandl.com

ثورة في التفكير ..!

تأتي جهود الفرد ، كبيرة او صغيرة ، على قدر الاحداث التي تجابهه ، حتى لقد يقفز الكسيح من سريره حين تهدده النار .

وللأمم مثل هذه الوثبات . فتركيا التي كانت رجل اوروبا المريض ، انتفضت بعد الحرب العالمية الاولى انتفاضة نعتها يومئذ الرجعيون بانها ستؤدي بهـــا الى العدم . وانكلترا بعد ويلات الحرب العالمية الثانية اهتزت واعتنقت نظاماً قال فيه كبـــار المفكرين التقليديين من لابسي المونوكل ان عنفه سيذهب بها الى الخراب في عامين او اقل .

اما هنا بعد كارثة فلسطين فان تفكيرنا الكسيح لم يقفز من فراشه ، بل ازداد العويل ونتف الشعر وقرع الصدور ، وسادت فكرة واعظة تقول بتغيير الاشخاص والحكومات .

وما كانت ولن تكون الحكومات والاشخـــاص إلا من بعض مظاهر عافية الشعب او مرضه .

نحن اشد ما نكون حاجة اليوم الى قفزة من السرير ، قفزة في التفكير ثورية .

هذه الوثبة المنقذة ، قد وفرتها دفعة واحدة ، ونظمتها العقيدة القومية الاجتماعية ، وسيبقى امر مستقبل هذه الامة وحاضرها من نجاح او فشل ، رهن ما ينفذ في المجتمع ، ما نفذه ويمارسه القوميون الاجتماعيون في صفوفهم .

obeikandl.com

الجنرال قائد

كثيراً ما تساءلت كم بطشت مفاهيمنا المغلوطة بحيويتنا المنتجة .

في هذا الشطر من الدنيا نتوهم الشراسة وجولة ، والغطرسة فروسية .

ان مآسي كثيرة وجرائم كان من الممكن تلافيها لو اننا ربينا على التفهم الصحيح من ان الكبر في قولك « عفواً » « لا تواخذني » « انا اخطأت » . وان من الفروسية ان تفسح الطريق لسواك لا ان تسدها عليه .

ولا يقتصر هذا الجهل على الاشخاص بل يتعداه الى الجماعات ، في التفكير الواعي والباطن .

في هذا البلد فئات كثيرة متذمرة ناقمة مستعدة ان تعتنق اية عقيدة تصلح لأن تكون اداة انقاذ ، ولكنها في تفكيرها الباطني او الواعي لم تنعتق بعد من اقطاعية الاجيال المظلمة او الطائفية المحرقة ، فهي تأبى ان تسير في جيش عباه رجل من الشعب اسمه « انطون » . بل لكانت تتهافت على اعتناق هذه المبادىء نفسها لو

ان الذي بشر بها رجل وقور اسمه بندر بك سيسبان حفيد سيسبان باشا الذي كان متصرفاً على نابلس في زمن الاتراك والذي جد خاله كان ترجماناً في قنصلية فرنسا سنة ١٧٩٤ .

وفي هذا البلد الف مخلص يهمه ان يسير في حركة وطنية شرط ان يكون رئيسها احد ابناء عائلته او على الاقل احد أبناء طائفته او منطقته .

وتاريخ بلادنا في القرن العشرين يحفل بالاحزاب التي خلقها ثم قتلها خالقها او خالقوها .

خل عنك ما يقولون في نابوليون ، فهو على رغم عبقريته العسكرية ، يعرف علماء التاريخ ان سر قوته كمن في انه كان يقود جيشاً مدرباً ، في حين كانت دول اوروبا تحارب بجماعات مسلحة .

ان سر القوة في ابناء العقيدة القوة الاجتماعية هو انهم جيش منظم ، آمنوا برسالة رجل برز من الشعب فما اشترط عليهم ولا اشترطوا عليه منطقة او ديناً او طبقة .

وانهم ، حين يسيرون اليوم على طريق الحياة ، لا يهمهم اين مكانهم في هذه الجبهة ، وما هي رتبهم . لذلك بلغوا ذروة القوة ، فلفظوا جانباً كل من اراد ان يندس في صفوفهم وحافزه الوحيد ان يتزعمهم .

وسيستمرون في النضال ، وسيتكاثرون ، وسينتصرون لأن كل واحد منهم هو قائد وطنية .

اخبارية ..؟

[اتخذ بعض صغار الموظفين في مختلف الدوائر ، خلال العهد الماضي مهنة الدس والوشاية يتملقون بها رؤساءهم . فكل يوم انباء عن الحزب ونشاطه ولوائح سوداء باسماء من سيغتاله الحزب . هذا المقال ظهر على اثر اشاعة .]

تقرير سري خطير يرفعه الموظف الاستاذ شمدص جهجاه الى رئيس دائرته بخصوص نشاط حزب منحل :

سيدي !

حين تحركت شفتاكم الكريمتان بالامر ، اطعته حالا وانطلقت اعد العدة للتجسس على هؤلاء الاوباش المهووسين الخونة عمال الالمان والطليان ، فرأيت ان اقوم بهذا الامر منفرداً ومتخفياً . لذلك لبست بنطلوني ، لانه لا يخفاكم انه ليس من اصالة الرأي ان اقوم باعمال الاستخبار من غير بنطلون . ولم اكتف بلبس البنطلون بل زررته . وحالا توجهت الى موقف سيارات فناداني سائق تاكسي عرفت فوراً انه قومي اجتماعي لانه ناداني بقوله « نعم يا

استاز » . وفي غفلة منه فتحت خزان السيارة وغرزت فيه انفي ونشقت . وركبت الاوتوموبيل فوضح لي ان هذا الشخص فدائي لان ما كان في خزان سيارته هو سائل متفجر يدعى بنزين، وعدا عن ذلك فقد كانت دواليب السيارة الاربعة مستديرة. ثم ان الشوفير كان يزمر عند كل كوع مما يدل على انه كان يعطي اشارات لبعض المتآمرين . وقد لحظت ان امامه مرآة تمكنه من رؤية ما وراءه. وحين خرجنا من بيروت تفجر السائق باغنية ثورية حربية مطلعها « هيهات يا بو الزلف » ، فحالاً اعلنت حالة الطوارىء وقبعت في مقعدي اترقب تطورات الموقف بدقة وحذر . وكان من الطبيعي ان اداهم مناطق الشبهة فتوجهت حالاً الى الشوف ، والمتن ، والكورة وطوقت جميع القرى دفعة واحدة . ويؤسفني اننا في الخريف ، غير اني تمكنت اخيراً من رؤية ورقة تين واحدة اختبأت وراءها . فما ان جاء المساء حتى بدأت جموع المسلحين تزحف نحو القرى ، وكل واحد حامل بارودة حربية من آخر طراز طويلة طويلة ، وفي يسراه سلة قذائف جهنمية . وليس يخفى عليكم انني من البسالة ما تعرفون ، ولعلكم تذكرون انني في السنة الفائتة ، ليلة العيد ، اطلقت مئتي رصاصة في ساحة البرج. لا اقول هذا على سبيل التبجح بل لاثبت ان بطولتي امر معترف به . لذلك وثبت على ولد صغير في يمينه البارودة الطويلة ، وفي يسراه سلة المتفجرات ، وفاجأته بسؤالي : « ماذا تحمل ؟ » فارتعب الولد وقال : « هذه سلة زيتون ، وهذا مفراط » . فتأمل في هذه الجماعة كيف حذق افرادها فن التضليل والانكار . حينئذ

فككت الحصار عن مناطق الشوف ـ المتن ـ الكوره. مطمئنا الى ان الحالة فيها لعنة تنذر بشر مستطير . وتوجهت الى البقاع متفحصاً الامور في زحلة ، بعلبك ، الهرمل ، راشيا ، في وقت واحد لان الحالة تستدعي العمل السريع . اما في زحلة فالجو مريب جداً لانني ذهبت الى وادي العرائش وهو كما تعرفون موضوع التغني وقد كان في الصيف الماضي يعج بالالوف ، اما الآن فهو مهجور . ما هو السبب ؟ هذا هو السؤال العظيم . لماذا اقفلت المقاهي ، ولماذا انقطع الناس عن ارتياد «وادي العرائش» في زحلة ! في الامر ما يشغل البال . اما في جنوب البقاع فان النشاط باد للعيان . والمعدات الحربية تنتقل وتهدر . وقد اقتحمت بما عرف عني من جرأة ، احد المعسكرات القومية الاجتماعية ، وسألت القائد ماذا يفعل ؟ فتظاهر بانه يجهل العربية ـ والمعروف عن هذه الجماعة انها معادية للعروبة ـ وتكلم بالافرنسية مدعياً انه يفتش عن الزيت (نفس المعدن الذي منه تصنع المتفجرات التي ملأت خزان سيارة الشوفير القومي) وان بيده مأذونية من الحكومة اللبنانية . فوراً ونهائياً اعتقدت انه كاذب ، مثل ذلك الغلام الذي اراد ان يوهمني ان القنابل في السلة هي زيتون ، والبارودة الحربية هي مفراط .

وفي بعلبك الحالة خطرة جداً فقد بنى القوميون الاجتماعيون حصناً ضخماً يعرف باسم « قلعة بعلبك » . ياسيدي ، انا لا ابالغ اذا قلت لكم ان العواميد علوها ١٨ متراً ، وعرض الحائط اربعة امتار. حيطان هائلة . ودهاليز لها اول وليس لها آخر . والناس

تأتي للفرجة على عينك يا تاجر . الصحيح ان الحكومة اسرفت في تدليل هؤلاء الخونة المهووسين عمال الالمان والطليان . ولأصحاب لاتخفى لم اذهب الى الهرمل . انا شجاع اغاغيري اشجـــع مني ، واكثر مني ، ولم يذهب الى الهرمل . واعتقد انـكم تعذرونني ياسيدي ، ولكني فهمت شيئاً يثير الشك ، وهو انه لم يقع خلال الـ 24 ساعة الماضية ولا قتيل في الهرمل !هذا سؤال كبير يحرك الظنون . لماذا لم يقع قتيل واحد خلال 24 ساعة في الهرمل ؟ وفيما انا في هذه المناطق ، كنت كذلك في طرابلس حيث اتوقع انفجاراً في اية لحظة كانت ، والسبب هو ابيات شعر القاها شاعر حموي في حفلة تأبين جاء فيها على ذكر الوحدة السورية . والرأي العام ساخط على الحكومة لأن بدر الدين الحامد ذكر الوحدة السورية ولم تثب السلطات لسحق القوميين الاجتماعيين مع ان بعض الصحف الوطنية المخلصة حرضتها على مثل هذا العمل . ولا تعتقدوا ياسيدي انني اهملت امر بيروت فاني قمت بهذه الجولة التفتيشية من غير ان ابرح العاصمة اللبنانية . وقد اوافيـــكم بتقرير مفصل . غير انني ابشركم انني توصلت بوسائلي البوليسية الخاصة الى الحصول على بعض اعـداد « النهار » « كل شيء » « الاحد » . وارجو ان تلاحظوا اللون الاحمر في هذه الجرائد مما يثبت ان حلفاً بين القوميين الاجتماعيين وبين الشيوعيين قد اعلن في الخفاء (عبارة سأشرحها فيما بعد) ، والمهم ان تنقلوا الى المسؤولين ان الحالة خطرة وخطيرة فليأخذوا التحفظات الضرورية واهمها البطش بهؤلاء الجماعة .

خادمكم المطيع : شمدص جهجاه

حاشية : واصلكم 12 سمنة ودجاجة ارض . مأكول الهنا .
وفي هذه المناسبة اذكركم بضرورة تعيين ابن خالنا ، محسوبكم بندر علوش ، كأحد اساتذة الجامعة اللبنانية العتيدة ، فهو فقير ذو عائلة ولا يستطيع كسب الرزق بسبب انه يجهل القراءة والكتابة .

obeikandl.com

رفات تنتقل

يتولى عني اليوم تحرير هذا الحقل رجل لم اسمع به من قبل ان قرأت رسالته الى جريدة التيمز النيويوركية مؤرخة في 30 اكتوبر سنة 1951 . واسم هذا المراسل « جاد تلر » Gudd L. Teller يرد بها على مراسل آخر سماه ممتازاً ويدعى هنسن بولدون (Hanson W . Baldwin) وقد كان هذا سبق فنشر مقالاً ينذر به الغربيين من حرب العصابات التي قد يقوم بها العرب فرد عليه بقوله : لا تخافوا فالعرب لن يقاتلوا .

ولقد استلفت نظري هذا المقطع الذي جاء في مقال المراسل « جاد تلر » : — « ان العربي لا يزال مقاتلاً باسلاً خطراً ، غير انه من الظاهر ان ليس في وسع قادته ان يثيروه ، وليس له من ثقة فيهم ولا في قضيتهم . اما قادة صفوفه الثانية والثالثة ، فأكثرهم انتهازيون ، متنعمون ، مثقفون على يد الغرب ، محجمون عن المخاطرة بأعناقهم فيما هم يحرضون العامة كي يقاتلوا من اجلهم . »

ان العقيدة القومية الاجتماعية ما هي بعقيدة تحريض . وابناؤها لا يكلون الى سواهم امر القتال ، بل هم يتولون بأرواحهم الدفاع

عن ايمانهم .

وفي مقابر بيروت رفات ، تحركت وانتقلت ، لتنبىء الناس عن الايمان الذي ليس بين معتنقيه خاصة وعامة ، وعن الابطال الذين لا يحرضون بل يبدأون بنفوسهم ، بدلاً من ان يقصروا همهم على التحريض والتغني الخامل بذلك الذي قال - منذ اكثر من الف عام - « ابدأ بنفسي »

هذا النادي

هل لك في هذه الدنيا صديق ؟ إن كان جوابك نفياً فالذنب ذنبك ، اذ انه ليس من المعقول ان لا يكون بين ملايين البشر من يستحق اخاءك . ولعل ادق موازين النجاح في الحياة كثرة الاصدقاء أو قلتهم ، وان من مظاهر العفن في التفكير ، والمرض في النفوس ، شيوع هذه الامثال عن استحالة وجود الصديق .

غير ان الميدان الضيق الذي يحبس نشاط المرء من جوار ، ومهنة ، وعائلة ، وجبهة عمل — لا ييسر له ان يظفر إلا بعدد من الاصدقاء هو ، مهما كثر ، يبقى ضئيلاً اذا قيس بعدد مواطني الامة .

وتولد العقيدة القومية الاجتماعية ، وليس لها اليوم في لبنان سقف يظلها ، فتوفر فوراً لمعتنقيها الوفاً والوفاً من الاصدقاء ، رجالاً ونساء ، من كل الطوائف ومن كل المدن والقرى ومن كل الطبقات ، فيشعر المؤمن بها وقد صار رفيقاً ، ان القلوب فتحت له ، وانه حين اذاب نفسه في هذه الموجة ارتفع معها في قوة وكبر .

وفي بيروت بعض اندية ، كثيراً ما شمخ روادها بأنهم من اعضائها . وفي لبنان ناد ليس له رسوم للدخول فيه ، وليس له من طقوس . هو بدون ريب اقوى الانـــدية ، واشرفها واكثرها عدداً ، وانيلها روحية . ناد يسهّل لك اخـاء الالوف والالوف . كل ما تحتاج الى الانضمام اليه ، ان توسع آفاقك ، فتدرس منهاجه وتعتبر بالخدمة التي ادّاها ويؤديها الوطن . هـذا النادي - نادي القومية الاجتماعية - لن يفتح لأحد ابوابه ، لان ليس له ابواب . هذا النادي يصبح ملكك حين تصبح ملكه . وان نشاط الحياة العادي الذي يقصر خطواتك على الشوط القصير وصداقتك عـلى الاشخاص القليلين ، يفتح امامك جبهة لا حـــدود لها ، ويشد يدك الى ايد غفيرة العدد ، حين تشرّفك الحيـــاة بأن تمسي من رفقاء ابناء الحياة .

وان كنت تحسب انك من العلو بأنك تنخفض حين تواكب بائع الجرائد وماسح الاحذية ، فاذكر ان خفق الاجنحـــة التي تسمو بالطير عن صعيد البسيطة هي حركة عنف تصل مرتفعـــاً بمنخفض ، فاذا هنالك لا انخفاض ولا ارتفاع .

الجاهل الثاني..!

يريدون نقاشاً علمياً .

ويفهمون بالعلم عبارات ضخمة ، وكلمات تعددت مقاطعها ، واستشهادات تتبرج باسماء فلاسفة وشعراء وقادة نهضة .

ولقد ترددت لفظة « العلم » حتى خدعت الناطقين بها .

ان كان هذا علماً ، فاني لأظهر في غد باوراقي المدرسية ، ألوح بها اني كنت من علماء هذا البلد .

الكيمياء علم . الحساب علم . ولكن من الثابت ان ليس في الاجتماع « علم » .

ولعل اسطع مظاهر الجهل التبجح بالعلم .

للثقافة رسالة واحدة ، وهي ان تزودك بمعلومات ، وتثير في نفسك حب الاستطلاع ، فتوسع آفاق تفكيرك ، وترهف بصرك ، وتضع بين يديك رصيد العبرة التي استللتها من تجاربك ؛ كل هذا تمهيد لقرار تمليه عليك يقظة النفس وسلطة العقل وهزة الضمير .

اما علماء هذه الايام ، فينعتون بالعلم سطوراً تتدحرج من الكتب ، لا فكراً يعي ويثور . يتشوفون بنظارات تطمس

الابصار ولا تعكس الا الكتب التي تقع اتفاقاً تحت هذا المنظار.

ان كان العلم نقلاً وسرقة واستشهاداً، وبسط معلومات، لا تفكيراً ودرساً وملاحظة وتفاعلاً ذهنياً يتجسد انتاجاً، فتاريخنا المعاصر قد نكبنا بغبيين اثنين طواهما الردى يجهلان العلم — احدهما جبران خليل جبران.

obeikandl.com

أحقاً ان للألم لذة ؟ اذن فنحن اليوم ، وفي هذه الزاوية ، ننعم بلذة كبرى لا اطيقها — وهي لذة الجدل . يسوقنا اليهـــا اقوال بعض الصحف في صدد حفلة تأبينية .

درج البعض على عادة شعراء العرب الاقدمين ، فمن الغزل الى الفخر الى التفجع على الطلول ، حتى يخلصوا اخيراً الى الهجوم على من كانوا من اعضاء الحزب السوري القومي الاجتماعي .

لذلك لم يكن من الغريب ان يأتي بيت شعر قاله بدر الدين حامد في حفلة رثاء عبد الحميد كرامه في طرابلس سبباً منطقياً الى الانتهاء بالتحريض على الحزب وقد كان الحزب غريباً عن الحفلة ، وهو في لبنان غير موجود — والصاق التهمة بأنه « يدغدغ دلاله المتنفذون » . اما الترويج ضد الكيان اللبناني فان ابناء العقيدة القومية الاجتماعية لا يريدون وحدة تفرض فرضاً ، بل كل همهم ان يبشروا — وبالاساليب المشروعة — فيولّدوا وعياً شاملاً حتى اذا بلغ التطور والتفهم درجة الاقتناع في مجموع الشعب ، وزالت عوامل الحذر ، اذ يغمر النور والايمان والثقة نفوس افراد الشعب ،

اتخذت الامة آنئذ خطوات قانونية مشروعة تتجسد فيها ارادتها. وهذا التطور والتفهم هما رهن الزمن . وفي كندا وفي الولايات المتحدة منظمات وأشخاص بارزون يقولون بوحدة معجلة او مؤجلة بين كندا والولايات المتحدة ، ولم نسمع بأن احداً منهم وصم او مثل امام المحاكم . اما ، « الدلال الذي يدغدغه المتنفذون » والمسيطرون ، فمن بعض مظاهره :

1 ـ عدم توظيف احد من ابناء العقيدة في الحكومة . 2 ـ طرد الكثيرين من الدوائر الرسمية . 3 ـ اذاعة سرية الى الشركات ان لا تستخدم الشيوعيين ولا اعضـــاء الحزب السوري القومي السابقين . 4 ـ عرقلة مصالح القوميين الاجتماعيين في كل الدوائر 5 ـ رقابة شديدة على التلفونات والتجول وقد تسربت الى دوائر الأمن بعض اوراق القوميين الخاصـة . 6 ـ واخـيراً ومؤخراً اتخـــاذ بعض التدابير الزجرية ضد بعض المساجين وهم في مكان لا يستطيعون به اذية احد . اما حرية البحث في الايمان ، وهو حق تكفله دساتير الامم الحرة ، فهذا حصار ما فك عنهم ولكنه حصار خرقوه . وليس منهم من تراوده نفسه بأعمـــال العنف ، ولكن من مصلحة بعض محترفي السياسـة ان يُبقوا بعض محترفي السياسة في حالة ذعر مستمر .

نكتة مستمرة

الجاهل يدفع ثمن جهله ، دولة كان ام فرداً .

انكلترا فقدت بعض اجزاء امبراطورية لأنها لم تفهم الشعوب. فرنسا هوت الى مقام دولي ثانوي للسبب نفسه . واميركا حرمت اكبر سوق عالمي – الصين – وهي تدفع الدم في كوريا ثمناً لجهلها الشعب .

رجال الحكم المزمنون هنا – من هم اليوم في السراي ، ومن كانوا امس ، ومن قد يأتون في الغد القريب ، يفهمون من امور الشعب انه غير موجود . فأحاديثهم وتفكيرهم ومزاحهم واعمالهم تنطلق من فلسفة خاصة – هذه قاعدتها . بل هذه هي النكتة المستمرة ، تستثير القهقهات في الدواوين والحفلات . ورسّخ هذه الفلسفة في المخيلات موضة ترداد شرحها كتابة وخطابة .

ولكن من درس النهضات يعلم ان الشعب قد يهفو او يغفو ، ولكنه لا يموت . بل ان حيويته تثبت موجوديتها ابداً – في ثورة ، في نقمة ، في صحافة ، في مظاهرة ، او في انتخاب .

والشعب بطبيعته ، وبسبب النشوء والارتقاء ، جاهد ابداً

نحو الافضل والاكمل .

فان كانت حقيقة العلم والمنطق والواقع تثبت ان الشعب هو ابداً واثب نحو الاصلاح والرقي ، فما الغرابة في ان يكون بين الشعب افراد هذا حافزهم لا سواه ؟

حقيقة لا يريد البعض ان يراها فينا ، نحن القوميين الاجتماعيين ، لغرض في النفس . ولا يراها آخرون ، لأن شعاع وضوحها يبهر الأبصار .

في كل قطر ، وفي كل زمن ، اثبتت الحوادث ان اصحاب النكتة المستمرة يستفيقون فجأة ليكتشفوا انهم كانوا يضحكون بالمقلوب .

البوابة ..!

من احتقر نفسه ، لن يحترمه الناس . وعلماء النفس يثبتون ان من عوامل تقوية الشخص لنفسه ان يحدث نفسه انه قوي . بل من الشروط الاولية في تربية الصغير ان تؤكد له انه ذو شأن وان تظهر له الاعجاب .

اما الاكثرية الساحقة ـ اللفظة مزدوجة المعنى ـ من شعب هذه البلاد في عشرات السنوات الاخيرة ، فقد كانت تنطق بلسان اكثر قادتها ومتزعميها اننا امة انتهى امرهـــا . فطلبنا القوة من سلاطين بني عثمان . وصحنـــا « الله وفرنسا » وتغنينا باسطول انكلترا . ورفعنا علماً هو من وبر الجمال . وحلفنا يمين الوفاء لموسكو ، وللقياصرة ، ولويلسون ، ولعلم النجوم والخطوط . انتظرنا القوة ترسل الينا طرداً في البريد من مختلف انحـاء الدنيا ، وغفلنا عن حقيقة امر يقره علم النفس ، وهو ان القوة كامنة في نفوسنا .

ان العقيدة القومية ايقظت في صدور ابنائها هـــذه الحقيقة الاجتماعية ورسختها . قالت للناس وبرهنت للناس ان قواناهي فينا . ولم يكن هذا القول بياناً وكلاماً منمقاً ولا قلقاً يبتغي استهواء

الجماهير .

انظر ماذا فعل اليهودي حين حدث نفسه بانه قوي . اليهودي الذي كان حتى سنوات سلفت رمز الجبن والانهزام ، وهدف الاضطهاد ، صار شجاعاً بطاشاً مضطهداً سيداً على نفسه وعلى سواه . واعتبر في الصينيين واقرأ باي بطولة هم يحاربون في شمال كوريا ، ثم اسألني وسل اي شخص عرف الصينيين في الماضي كيف كان يسوقهم الكرباج ، ويذعرون من عطسة .

الانسان هو بعض الله . والله قوي . وكل ما يحتاجه المرء لان يستشعر بقوته وان يمارسها هو ان تهزه . والقومية الاجتماعية هزت نفوس معتنقيها . هذه هي فضيلتها الاولى . وهذا هو السبب الاول الذي حدا بي الى اعتناقها . وهذا ما يوجب عليك يا مواطني ان تقبل على تفيؤ علمها .

غير ان المسكنة والخنوع والاستسلام ليست وحدها من مظاهر الحقارة والضعف . اني اذكرك بان العلم — علم النفس — اثبت ان الاستعلاء هو بعض مظاهر الصغارة والجبن . كل بهوار جبان . كل متعجرف صعلوك . لذلك ما هو بكبر ما تسمعه من تبجح بماض وبحاضر ، بل هو حقارة انتفخت .

ان التطلع الى الكراسي هو الدليل الاكبر على ان المتطلعين اليها هم ادنى منها . كانت احدى سيدات المجتمع حين تدعو العظماء الى مائدتها لا تهتم بالبروتوكول في توزيع المقاعد بحجة « ان الذين لهم شأن لا يهمهم اين يجلسون ، والذين يهمهم اين يجلسون ليس لهم شأن ، فلا ضير ان استاؤوا »

في كل بيت من بيوتات العصور الوسطى بوابة كبرى في اسفلها باب صغير يستشعر الداخل فيه منحنياً انه حقير يدب الى كبير . لعل الجريمة الكبرى عندنا هي اقفال البوابة الكبرى والباب الصغير، فلا يدخل صالون الامة الا من ضمر وهزل فانسل من ثقب الرتاج او زحف من تحت الباب والعتبة .

ان القوميـة الاجتماعية حين فتحت البوابة الكبرى للشعب ، على مصراعيها ، ليدخل المواطنون رفقاء متساوين مرتفعي الجباه، ردت للمواطن ثقته بنفسه ، وردت اليه بالتالي ثقته بامته كمجتمع يوفر لكل فرد منه كرامته كانسان .

صقيع يحرق ..!

ابناء هذه العقيدة القومية الاجتماعية ، يحاربون بالسذاجة ذكاء من يريد خداعهم او عداءهم .

حقيقة يصعب على اساطين الهمس والغمز والتطبيق فهمها .

ولا يريد اولئك الحاذقون ان يسلّموا بأمر بديهي اثبته تاريخ هذه العقيدة وحاضرها — وهو انها تغلبت وتتغلب على من يريد ان يلعب بها ، او يستعين بابنائها ختلاً ورياء .

ما هم بشطار فتيان هذا الايمان . يتساءل المتعاظمون : « من هو فلان من قادة هذا الفكر ؟ ومن هو فلان ؟ ومن هو فلان ؟ »

ما هم بجبابرة ـ فلان وفلان وفلان . هم بعض السابلة على طريق الحياة يسيرون فوقها بنخوة ونظام .

لا تحتقر امر الجندي . هو شيء لا اهمية له . صحيح ، ولكنه الجيش الذي افنى فيه هذا الجندي ذاتيته هو الشيء المهم .

هـــذا الجيش القوي الباسل النبيل ، يجب ان لا يحتقر ولا يخاصم ولا يستفز . ولا شيء اسهل من صداقة هذا الجيش ـ اعني

ابناء هذه العقيدة . اذ انه ليس فيهم من يبغي كرسياً او غنيمة ، فودّهم يكتسب ولا يشرى .

من يعطهم حبة من الاخلاص ، ردوها له اهراء من حبوب .

ومن حاول بالدهـــاء والمناورات استغلالهم او طمسهم ، اكتشف في آخر الامر ان في سذاجتهم شطارة ، وان في شطارته غباوة .

بعض انواع الجليد يشتد صقيعه فيمسي ناراً محرقة .

لو اني صاحب الجلالة !

هذه الرسالة كانت موجهة الى الرئيس السابق الاستاذ بشاره الخوري بعد ان هوى فاروق ، وقبل ان يعتزل الخوري . « انا انسان » كلمتان افتتح بهما الرئيس بشاره الخوري مؤتمر الأونسكو حين عقد في بيروت .

كل عاقل ليس به مسّ من الجنون ، فهو بليد الذهن .

وانت يا قارئي مثلي تدّعي الذكاء ، اذاً فيجب ان تعترف بان فينا شيئاً من الجنون . تراك مثلي مصاب بجنون الاحـــلام ؟ يا طالما حدثت نفسي باني ملك في « غمـــدان » وان من زملائي فاروق . واستفقت من حلمي مذعوراً اتطلع الى حرس الفاروق يصوبون اسلحتهم الى القصر المحروس ثم يسيرون به فيركبونـه « المحروسة » . رجوتك يا قارئي ان لا تسمعني بعد اليوم الدعـاء المألوف « الله يحرسك » ، فان هذا يذكرني بالحرس والمحروس و « المحروسة » .

وتفجرت الافراح مظاهرات ، واغاني ، وشتائم ، وحقولاً

في الصحف سوداء ضخمة العناوين . ان نفسي لتتقزز من هـــذا الجذل الحيواني . فالشماتة احدى مظاهر البهيمية . انا انسان ، اذاً فأنا اتعظ واعتبر. ليشتم الناس فاروقاً ما ارادوا . انا اشكره ، انه احسن إلي . انه اعطاني درساً . انا انسان ، اذاً فأنا في كل يوم اتفهم رسالة جديدة .

لقد نصحني فيما مضى صديق لي ، على مسمع من النـــاس ، ان اخلو الى نفسي فاعرّفهـــا . اخال ان ما يجب ان افعل اليوم هو ان ابتعد عن نفسي حتى اراها . بلى سأبتعـد عن نفسي واكون وحيداً وحيداً ولن اسمح حتى للخوف ان يرافقني . انا انسان ، إذاً فأنا مفكر . الخوف يشـــل التفكير فيجب ان اطرده عني .

ها انا مبتعد انظر الى مملكتي فأراها فوضى وغوغاء من نقمـة وظلم وفقر وشعوذة وثروات واستغلال . أنا انسان . إذاً فالخطأ من معائبي . انا انسان ، اذاً فالجرأة يجب ان تكون من فضائلي . هوذا اول قول جريء اتفوه به . لقد اخطأت .

القول ، ما فائدة القول اذا لم يترجم عملاً ؟ الجائع لا يشبعـه القول . ولا البائع ولا المحروم ولا المضطهد . ان مملكتي صغيرة جميلة . وشعبها طيع نبيل . لقد كنت معبوده فيما مضى . لقـد اسمعني الهتاف الذي لا يزال يسكر مسمعي . ولكنه كان هتافاً غير مأجور . لماذا يرسل اللعنات نحوي اليـــوم . لعنات لو انها تشعل النار لأمسى قصر « غمدان » رماداً ؟

لقد اخطأت . لقد حقّرت شعبي فحقرني . لن اكون ساذجاً .

اني اعلم ان اكثر الثائرين علي هم من محترفي المشاغبـــة يبغضونني مخطئاً ويبغضونني مصلحاً ويبغضونني ملاكاً او الهاً . ان صاحب الجلالة له ابداً اعداء لانه صاحب الجلالة. انا انسان وغيري كذلك انسان . والانسان يحسد الانسان .

غير اني لن اقنع نفسي ان هذه النقمة الحـادة الجارفـة هي ليست من صنيعي.

هؤلاء المتزعمون المستثمرون ما شأنهم في هذه الدولة ؟! انهم لا شيء . الشعب يمقتهم . قوتهم تمويل مستمد من القوة التي سلمتها اياهم الدولة .

انا انسان . اذاً فانا تلميذ التجربة . شريت الولاء فانكشف بضاعة مزيفة . جرّبت البطش ودفنت الحراب فنبت في طريقي الوف من حراب جديدة. رقعت هذا الثوب فبدا خرقاً مضحكة لا تزين ولا تدفىء .

ان القوى المسلحة هي رهن أمري . ولكنها كانت كذلك رهن امر القوتلي وفاروق . البوليس انسان . الدركي انسان الجندي انسان . اذاً فهو كذلك قد ينقم ويرتد ويثور .

انا انسان . ماذا ينقصني في هذه الدنيا ؟ انا صاحب الجلالة في ذروة هذا البلد . المـال موفور لي ولمن احب ، ولمن اتوهم اني احب . كل ما احتاجه هو الارادة للاصلاح والعزم على الاصلاح. الارادة تخلق الكلمة ، والكلمة تطاع لان وسائل التنفيذ لا تزال في يدي . عليّ ان انفذ .

فان عجزت عن التنفيذ ، فاول واجب نحو نفسي هو ان لا

أخدع نفسي فافسح لها مجال التقوى ، اذ ذاك قد اعتزل الدنيـــا فاترهب . انا انسان فلماذا لا اكون واقعياً ، فابدأ بحزم حقائبي وأودع غير مطرود فاكون الرابع في لعبة بردج مـــع فاروق والقوتلي وزميلي الايطالي الملك « اومبرتو » . انا انسان . قد يشلني « الروتين » . قد لا افعل شيئاً ، ان لم ابتعد عن نفسي .

لو اني صاحب الجلالة ، لابتعدت عن نفسي فهززت الصولجان او رميته .

obeikandl.com

الفرق ..!

« لا . لا . اياك ان تذكر اسمي . قل اني لبناني صميم » .

وودعت اللبناني الصميم ، وهو صديق قديم حميم ، حشد في خزان الدهر ثلاثين سنة من حياة مفعمة بالجهود الوطنية ، ومن صداقات غالية تخطت حدود المناطق والطوائف ، ومن حلقات أدب وفكر وصفاء لم يعرف لبنان لها شبيهاً ، ولعلها لن تبعث ، ومن سلوك شخصي يقدر ان يعرضه على الجماهير في شريط سينمائي فخوراً بمشاهده وحوادثه .

ودّعت اللبناني الصميم بعد جلسة طويلة ، هذا ما قال فيها :

« يا أخي نحن نحترمكم . نحن لا نتهمكم بالخيانة . نحن معجبون باخلاصكم واندفاعكم . ولكن تعالوا نشتغل في هذا المجتمع اللبناني ، حتى تستقيم الامور ، فان سيطر الوعي علينا هنا ، وعليهم هناك ، الى حيث شئنا وشاؤا ، أو اراد اولادهم وأراد اولادنا ان ننصهر في دولة مثل الولايات المتحدة ـ فما الضرر ؟ نحن لهذه المبادىء ، ولهذا الهدف » .

قلت لصديقي اللبناني الصميم: «انت وأنا كلانا قومي اجتماعي، موحد الفكر، والغاية والاساليب.

والفرق بيني وبينك انك تصر على ان يبقى اسمك مكتوماً، وأصر على ان اضع توقيعي في ذيل ما اكتب.»

obeikandl.com

عجين البغضاء

ان من يقرأ آداب اللغة العربية بعينيه الاثنتين ، لا بالعيون التقليدية ، والذي درس حركاتنا الوطنية بوعي ما تعود ان ينصاع لموض الكلام ، يخلص الى استنتاج هو ان شعوب هذه البقعة من الدنيا أمست تعتاض بالبغضاء - وهي غريزة بهيمية سلبية - عن الوطنية ، وهذه شعور ، وتفكير ، وانتاج ايجابي . لقد ساهمنا في طرد الاتراك لكرهنا للاتراك ، واشتركنا بالحصول على الاستقلال لحقـــدنا بالاكثر على الفرنسيين ، واردنا ان ننتصر على اليهود ببغضهم وشتمهم وتحقيرهم .

وانت ان وقفت يا صديقي ، واستعرضت اشخاصاً تعرفهم وتذكرهم ، تتحقق انهم برّأوا نفوسهم امام ضمائرهم وامام قومهم بانهم وطنيون غيورون بسبب بغضهم للصهاينة ، ومنهم من اتجروا وتزعموا وباعوا وشروا ، او من اقتصر انتاجهم على سلبية البغض .

لعل هذا ما يفسر الافلاس الذي نزل بعـــد الاستقلال بمن تسموا قادة حكومات وشعوب ، اذ وضح عند الفوز بالسيادة الخارجية والداخلية ان كل وطنية عجينها البغضاء هي وطنيـــة

مزيفة . من فضائل العقيدة القومية الاجتماعية انها لم تنشأ نكاية باحد من الناس ، ولا لمناوأة فئة او طائفة . لذلك قدرت هي – وهي وحدها فقط ، من سائر كل العقائد والمنظمات ، ان تصهر في كيانها اشخاصاً من كل الطبقات والطوائف والمناطق . وليست هي في ذلك مثل غيرها من العقائد والاحزاب – التي اقتصرت على عشيرة ، او طائفة او منطقة من الوطن ، واستعملت اسماء اشخـــاص قلائل غرباء عن تلك العشيرة او الطائفة او المنطقة ، للزينة ولرد التهم .

ان القومية الاجتماعية تعلم وتمارس اننا كلنا للوطن ، وان الوطن لنا كلنا . وهي استطاعت – هي وحدها استطاعت – ان تغرس في المواطن العادي زهو العزة الوطنية ، فلم يعد غريباً عن بلاده ، شأن زلم الاقطاعيين ، او عبيد الاجانب او السواح المقيمين في هذا الوطن وليس لهم من ايمان الا ورقة هوية يحملونها وحملها من قبلهم اجدادهم ، ولا شأن من يعتبرون الوطنية بغضاً ونقمة وشتيمة .

سيسجل التاريخ الحديث ان ايديولوجية الوطنية كما تفهمهـــا الثقافة الحديثة وضعت اسسها في بلادنا قوميتنا الاجتماعية .

العيش والحياة

لم يكن مجاملا ، صديقي المحامي ، حين جلس يشاطرني القهوة في الصباح ويتكلم بحمية عن نهضتنا . من الكلام ما يفيض الفاظاً تسري عبر الاذن ، ومن الكلام ما ينطلق فيلفح السمع بلذعة الصدق ، وقد تحققت ان جليسي كان مؤمناً بالعقيدة القوميـــة الاجتماعية حين قال: « انتم الوحيدون الذين يستحقون الاحترام ، ومبادؤكم كما كتبت وشرحت ، وكما نفذت هي وحدها ، لا سواها ، كفيلة بالانقاذ » .

ودهشت اذ ذكرت ان زائري نشأ في بيئة معادية لهذه الحركة ولم يكن في سيرته ، ولا في حاضره ، ما يدل على انه من المقاتلين ، ولا من ابناء الصراع ـ غير ان نخوته واقتناعه وحماسته واحترامي الشخصي له اهابت بي فسألت : « اذاً فانت في طريقك الينـا » ؟ أجاب : معاذ الله ! انا محام ، يكاد قصر العدل ان يسمي بيتي ، هل تريدني ان اخسر كل دعاوي ؟

الفرق بين صديقي المحامي وبين ابناء الحياة ، ان هؤلاء لا يهمهم خسارة دعاويهم الخاصة ما داموا يشتغلون في ربح الدعوى

الكبرى .

هو يقنص العيش في قصر العدل وهم يدفنون الحياة من عزال يطل على الدنيا ، ويقزّم قصورها .

obeikandl.com

انهيار وترميم

من أبشع مشاهد الدنيا الخراب . وان الذين صفت نفوسهم لا يفسحون لها مدى التلذذ برؤية الانهيار . فان كل مواطن يتهدم هو مواطن خسرناه .

وانه لمن المؤلم ان نرى بعض الشخصيات المعروفة تنتحر مراراً كل اسبوع وتنتثر شظايا في مقـــالات من المغالطات والافتراءات . وليست الكارثة في ان سياسياً تناثر الناس من حوله وانتهى امره ، بل ان الفاجعة بخيبة فئة من الناس عقدت الآمال عليـــه ، فان في ذلك ما يحجّر شيئاً من حيوية الشعب ويلاشيها . كان علماء الالمان ممن تولوا قيادة الحرب السيكولوجية في المجزرة البشرية الاخيرة يثيرون الانباء المغرضة الكاذبة بين جماهير اعدائهم ، ثقة منهم ان خيبة الآمـــال توقع في معنويات الشعب . وانت اليوم حين تلمس الريبة في نفوس مواطنينا فلأنهم خلال الثلاثين سنة التي مضت كانوا يوماً بعد يوم يتفاءلون بشخص ما ثم يكتشفون سريرة امره فيبتسمون بغض خائبين .

اليوم تكتشف القومية الاجتماعية حقيقة امر من حالفها يوم

كان في حاجة الى ابنائها ، وشن عليهـــا الحرب الكلامية لغير سبب وفي غير مناسبة . وفيما هو يحاول تهديمها هدّم نفسه بسرعة وبصورة نهائية .

نحن لا نفرح برؤية هذا الخراب ، بل نأمل نحن الذين ساعدنا من اراد خصومتنا ان يكشف عن نفسه ، ان يتعظ بصابه فيجد نفسه ـ أخيراً .

اذ ذاك نكون قد مددنا له يد المعونة مرتين ـ مرة حين تهدم فاكتشفت حقيقته ، ومرة حين وقف على اطلال امجاده فلم يشتم ، ولم يتهم ، ولم يفتر ، بل كرجل ثاب الى رشده وتاب عن ذنب ، انقذ من الدمار شيئاً يثير الاحترام .

اضف الى فضائل القومية الاجتماعية انها لا تخيب آمال من اعتنقها ولا تخون .

طريق ضهر البيدر وطريق مرجعيون

من عادة اهل الكتابة ان يظفروا بالأكل مجاناً حين يحسب المضيف ان في كرمه حافزاً للاعلان عن متجره . وقد يكون من نتائج هذا المقال ان ينقطع اصحاب المطاعم والفنادق عن هذه الحاقية ، او الرشوة ، فهذه الاسطر لا تروّج للاقامة ، في فندق « المسابكي » ، شتورا ، حيث اكلت وشربت مراراً عدّة ، وكل مرة كنت ادفع بكلمة شكر اوجهها الى الخواجة ، صاحب الفندق بواسطة الجرسون الذي ينقل إليّ الرسالة السخية .

ووصلنا « شتوره » في عاصفة من الثلج ، راجعين الى بيروت ، فاستقبلتنا على الطريق بارودة الدركي ، وقهقهته واوامره معلنة ان الطريق مقفلة ، وانه من « الحكمة » ان نبقى في شتوره .

لا ادري لماذا قهقه الدركي ، قد يكون ذلك من قبيل فرحه بصيدتنا . لعل اول تسجيل في نفس الانسان حين يسمع بموت صديق له هو فرحه ، بأن الموت نزل بصديقه لا به . ترى أهذا السبب ضحك الدركي ؟

ودخلنا الفندق . يعني اللوكندة ، فاذا هو حافل بالضيوف ،

وحافل باللاجئين . لو سُئلت تسمية هذا العصر ، لقلت انه عصر التندر والطرائف . فكل من تلقاه ، يمد يده الى جعبته فيتناول منها قصصاً يروّيك بها . وكان من الطبيعي ، والدنيا ثلوج وارياح وامطار ، ان تنحرف الذكريات الى منحى الطبيعة ، وكانت القصة طبعاً تنتهي ببطولة راويها . أذكر ان احد اللاجئين الى الفندق قصّ علينا كيف كان يقطع الثلوج في ضهر البيدر ذات شتاء فهاجمه قطيعان من الذئاب ، واحد من اليمين وآخر من اليسار فراح محدثنا البطل يقبض على ذنب الذئب المهاجم من اليمين ، فيرمي به الذئب المهاجم من اليسار فيصرع الاثنين معاً .

وقبعنا في الفندق والثلوج والأقاصيص تتراكم ، والارياح تهب ، وكذلك دخان الاراكيل ، وكان الثلج يتعالى في ضهر البيدر عند دخول كل « لاجىء » جديد ، والنكبات تزداد كلما جاء من يطلب الدفء والأمن في قاعات اللوكندة ، حتى حسبنا ان في الخروج خطوة من الفندق مقامرة وغماراً .

وجاءت « ساعة الوحشة » في المساء الباكر ، ونحن في النشوة التي تملك من هو في المكان الامين وسط العاصفة المخيفة واذا بمسافر تملأ قامته الباب ، وتملأ ابتسامته الفندق يدخل فيطلب قطعة من اللحم كبرى ابتلعها ثم راح يغسلها في جوفه بكأس من الوسكي .

ورفع المسافر صوته متغنياً بالطبيعة وبجمال الليل ، معلناً انه سيواصل طريقه الى بيروت عن طريق مرجعيون ، طريق خطرة وطويلة ، ولكنها الطريق السالكة غير المسدودة ـ وان القمر سيطلع بعد قليل ، وان السير في ذلك المساء سيكون بهياً ، وانه

سيبلغ بيروت .

وكانت نبرات صوته ، ولهجته الواثقة المتفائلة ، واصراره على الوصول الى حيث هو قاصد ، نفحة من النسيم المنعش النقي ، في جو الخوف والدخان ، والنوادر التي ملأت غرف اللوكندة .

ووثبت مع المسافر الجريء الى سيارته فاذا القمر في السماء واذا بنا نبلغ بيروت عن طريق مرجعيون ، وكان في ذلك شيء من المغامرة خصوصاً حين لفتنا بعض الاكواع . ولكننا بلغنا بيروت ، فيما بقي حتى هذه الساعة — بعد ايام اربعة — رفقاؤنا في « شتوره » .

في بلادنا اليوم ذهنية طاغية ، تأوي ، وحولها العاصفة ، الى « فندق » فيه السلامة والدفء ، والاحاديث عن بطولات وهمية وحقيقية سلفت . أناس يحدثون عن استحالة العبور عن طريق ضهر البيدر حيث تسد الثلوج الطريق ، وحيث تتدهور السيارات . وقليلون — مثل ذلك المسافر الجريء — عزموا على الوصول الى الهدف — بيروت — واثقين ان طريق « مرجعيون » سالكة ، ولكنها طويلة وخطرة .

ولكنك لن تصل الى بيروت الا حين تعزم وتسير نحو بيروت . ولن تزيل ثلوج ضهر البيدر ، أحاديث القابعين في فندق « شتورة » الذين اقنعوا انفسهم ويحاولون ان يقنعوك ان الوصول الى بيروت مستحيل . وحين تعزم على الوصول الى بيروت في العاصفة ، فلا يفاجئنّك ظهور دركي يلوح ببارودته ، ويأمر ، ويقهقه ! .

obeikandl.com

تبلغوا وبلغوا

التصريح وما يليه من مقالات ثمانية قد نشرت جميعها متتابعة في مجلة « كل شيء » الاسبوعية .

obeikandl.com

obeikandl.com

لو اننا نؤمن بالاغتيال لاندحرجت رؤوس كثيرة

الاضواء تتركز في هذه الايام على الشيخ سعيد تقي الدين عميد الاذاعة في الحزب القومي الاجتماعي ...

فهو الذي يخوض اليوم مع المسؤلين السوريين اعنف معركة في سبيل ان يبقى على كيان الحزب القومي الذي داهمته عواصف النقمة بعد مقتل العقيد المرحوم عدنان المالكي .

ووضعت « كل شيء » هذه الاسئلة امام الشيخ سعيد تقي الدين ، فأجاب عليها بهذه الصراحة المطلقة .

قلنا له :

ـ توجه الى الحزب القومي تهم عديدة منها انه حزب يسلك طريق الاغتيال السياسي لتحقيق مبادئه ، وانه هو الذي قتل رياض الصلح في الماضي وعدنان المالكي في الحاضر ، فما هو دفاعكم عن هذه التهمة ؟.

واجاب الشيخ القومي :

ـ مبدأ « الدفاع » عن التهمة هو مبدأ مغلوط ، فالمبدأ الذي اعتمد منذ عهد السوريين الاقدمين الى عهد الاغريق ، فالرومان ، الى اليوم هو انه على المتهم ـ بكسر التاء ـ ان يثبت التهمة . كل ما يريده الحزب هو ممارسة حق المواطن الذي يكفله كل دستور في الدول التي تسمى بحق انها دول ديمقراطية . نريد حق التبشير بالطرق الثقافية الاذاعية المشروعة . ولقد قاوم ممارستنا هذا الحق الرجعيون والانانيون . وهؤلاء يقاومون كل حركة اصلاحية . لقد اضطهدوا كل رسالة دعت الى الثورة على الضعف المتحجر ، سواء اكانت هذه الدعوة سماوية او سياسية او اجتماعية . استعد ذكرى المقاومة والاتهامات التي لقيتها الدعوة المسيحية والمحمدية والاضطهادات التي تعرض لها كل من دعا الى اصلاح . لذلك كان من الطبيعي ان يستعمل اعداء الاصلاح كل الاسلحة ضد الحزب القومي الاجتماعي . ولو ان مبدأ الاغتيال يقره الحزب لتدحرجت بعد استشهاد الزعيم ورفقائه الستة رؤوس كثيرة ، ولكننا نؤمن بممارسة الوسائل المشروعة . واعداء هذه الامة هم الذين يحرموننا ممارسة هذه الوسائل .

وسكت الشيخ سعيد قليلاً ثم استطرد قائلاً :

ـ وانهم ، وهم يملكون ادوات التنفيذ في الدولة ، يحاربوننا بالحراب ، وتسخير القوانين ، وبالاغتيالات ، وبالتشريد . ان الحالة السائدة في الجمهورية السورية تشبه ما كان عليه العراق في سنوات 1932 ـ 1936 . واذكر ان هنالك جرائم كثيرة سبقت

مقتل العقيد المالكي . اذكر ان العقيد محمد ناصر ، وهو من المع ضباط الجيش اغتيل وعرف قاتلوه . لقد كان تدخل الجيش في السياسة . ان ادخال السياسة على الجيش السوري كارثة . والحزب الذي ضبطت سجلاته حيث كانت . واعتقـــل اعضاؤه بعد ان تلقفت شرطـة الجيش لعصام المحايري انهم قادمون للقبض عليه . هذا الحزب اذاع منذ اللحظة الاولى ان لا عـــلم له بالقتل ، ولكن تخطيط اعداء الامة ، من رجعيين ونفعيين ويهود وشيوعيين استهدف القضاء على هذه القوة المؤمنة المقاتلة وتوهم ان هذه المناسبة سانحة مثلى فراح بعض الضباط يبطشون ويفظعون . انهم ما وجدوا ولن يجدوا برهاناً واحداً يثبت التهمة .

ثم تنهد وقال :

ـ لقد اقتلعوا اظافر رفقائنا ولم يقتلعوا منهم كلمة تدل على ان احداً له معرفة بالحادثة . أذكر ان اثبات التهمة يقع عبؤها على مطلقها . . أذكر ان يونس عبد الرحيم بعد ان فاز بامتحان لدخول سلاح الطيران منعوه ، وانه نجح ثلاث مرات بامتحان ترقية وانهم حجبوا عنه الترقيـــة ، وان عناصر كثيرة في الجيش متبرمة بكثير من قادته . . لقد تعددت تأكيداتهم بانهم وجدوا وثائق تدين ، وفي كل مرة يعكسون موقفهم .

وتركنا الشيخ سعيد تقي الدين يستريح قليلاً على المقعـد ثم عدنا نسأله بعد لحظات :

ـ يتهمون « الحزب » بانه « يقبض » من الدول الغربية لقاء مناهضة الشيوعية ، وبانه « يقبض » ايضاً من العراق ليؤيد الاحلاف ؟

فهز برأسه ساخراً واجاب :

– وهذا بعض سلاح الاتهامات ، انه سؤال غير مشروع وغير وارد . حزبنا حزب بطولات ، والبطولات ما كانت تبـــاع وتشرى . ان اعداء الحزب ، اعداء الامة ، يطلقون ابداً هذه الاتهامات الحقيرة . غالباً لا نرد عليها . اذكر ان الزعيم سعاده « ثبت » عليه انه متآمر مع اليهود . لقد نشرنا رأياً ظهر في جريدة « البناء » ضد الاحلاف ، واخذنا من مقتطفات منشور الحزب مقاطع اعدنا نشرها ولك ان تنشرها . لقد ناهضنا الحلف التركي العراقي لأنه لم يعط بلادنا كلها « الهلال الخصيب » الضمانات القومية التي نريدها ، اقرأ المنشور وهو فيما يزيد على الستين صفحة ، ودلنا اين قلنا اننا نوافق على الحلف التركي العراقي . ولكن اختراع التهم باب لا ينتهي ، ولذلك نحن في اكثر الاحيان لا نرد عليه .

وقلنا له :

– اذاً من اين يأتي الحزب بالمال لتسديد نفقاته ، وهل صحيح ان اموالاً ومساعدات تصل اليكم من اعضاء الحزب في المهجر؟..

فاجاب :

– هذه المئة ليرة التي تراها جاءني بها بائع جرائد كان قد اذخرها ليستأجر « واجهة » يعرض فيها الكتب . لا تنسَ ان الحزب هو حزب عطاء . وان عدده عشرات الالوف . وان لنا فروعاً عبر الحـــدود في فنزويلا والشاطىء الذهبي ، وليبيا ، والبرازيل ، والارجنتين ، واميركا الشماليـــة ، والمكسيك ، وبلدان اخرى .

وسألناه اذا كان لأرملة الزعيم سعاده نشاط عملي في الحزب ، ام انها زعيمة روحية فقط ، فاجاب بحدة :

ـ ان حضرة الامينة الاولى لا تمارس اية مسؤولية في الحزب. انها رفيقة الزعيم ، ليس لهـــا صلاحيات دستورية ، او في المعنى الشائع ليس لها « وظيفة » في الحزب . ان القوميين ، واشراف المواطنين ، يجدون فيها رمزاً لبطولة المرأة في بلادنا . ان الذين سجنوها لوثوا اقدس تقاليد امتنا . اسباب اعتقالها يعرفها من ارتكب جريمة الاعتقال وجرائم التعذيب . حسبوا انهم يذلون الحزب بالتجني على هذه الشخصية المقدسة . انه بطش الجبان .

وسالناه اخيراً :

ـ هل كان الحزب في سوريا يطمع في احداث انقلاب وتسلم الحكم سواء الآن ام بعد سنوات .

فاجاب وهو ينتقل الى مكتبه الذي تزينه صورة الزعيم سعاده :

ـ ان الانقلاب الذي نعمل له هو الانقلاب الخلاق في نفس المواطن ، واستلام الحكم في الشام خلال السنوات الاخيرة كان ابداً في مقدورنا لو ان غايتنا كانت استلام الحكم بالعنف . ان حركتنا هي في جوهرها حركة تثقيفية هادئة تكون نتيجتها وعياً يسيّر الحكم نحو خير البلاد وقوتها . لم نستهدف ابداً ترجمة القوة الى وظائف ولا منافع . ان عدد اعضاء الحزب وفعاليتهم واهميتهم تفوق اية قوة سواها منفردة . نحن لم نشغل القوى المسلحة بالسياسة او بالاغراض المحلية . ما اردنا إلا ان يكون رفقاؤنا في الجيش جنوداً ممتازين .

حكاية دخولي الحزب
السوري القومي الاجتماعي

اليوم بلغت من العمر الواحـــدة والخمسين ، واني اذ اتمهل فالقي خلفي نظرة تستعرض الطريق التي مشيت ، اجد ان نفسي لا تزال مترسخة في طفولتهـا وقرويتها .

هذا المقال يسرد بطريقة مستعجلة ، مشوشة ، حكاية دخولي الحزب السوري القومي الاجتماعي .

وتبدأ القصة في طفولتي وقريتي « بعقلين » ، ونحن في بعـد ظهر كل يوم نجلس امام بيتنا على البوابة ، والنـاس عند العشية يمرون بنا ، بالبوابة ، عائدين من الحقول يقفون ليدعوا الجالسين الى مشاركتهم بما يحملون من عنب ومن تين . وان الجالس المراقب يعرف من طريقة إلقاء السلام من الذين يمرون أكان المسلّم صديقـــاً او عدواً . فاما الصديق فيلقي التحية بحرارة ويرددها ويستفهم مراراً عن الصحة وعن افراد العائلة جميعاً .

واما العدو فيتمتم سلاماً مسرعاً ويمضي .

واني لا ازال اذكر من هؤلاء شخصاً طويل القامة عريض الكتفين يحمل شمسية صفراء من « ستكروزا » فهو حين مر بالبوابة لا يتمتم السلام ولا يلقيه حاراً بل يصوب الشمسية نحونا حتى لا نراه ولا يرانا .

ذلك كان عدونا الاول في « بعقلين » — محمود الطويل .

لا اذكر كم كان عمري اذ ذاك . ولكني اذكر انني مررت يوماً امام بيته فقال لي « هذه الطريق خصوصية يا بني » .. واذكر انني لم اعلم يومئذ ما معنى كلمة « خصوصية » واستفهمت ابي عنها .

***

نحن في اواخر سنة 1945 وقد ارتفع عنا في « الفيليبين » ستار الحصار الذي شطرنا ، عن الدنيـــا خلال الحرب ثلاث سنوات ونصف . واذا بالبريد يحمل إلي من نيويورك نبأ من قريبنا امين أبو حمزة يقول فيه ان عمي الدكتور رشيد تقي الدين فوجىء بشلل وكان معدماً وان الدروز في الولايات المتحدة تعاونوا على تطبيبه واعاشته وذكر اسماء المتبرعين والمبالغ التي دفعوها وكان بين الاسماء اسم فرحان الطويل . واقترح امين ابو حمزة في رسالته ان اوجه كتب شكر الى المتبرعين .

وايقظ اسم « الطويل » في مخيلتي الشمسية العدائية وكبر علي ان اشكر عدواً على احسان فآثرت — ولم يكن من من اللياقة ان ارد المال للمحسنين — ان استعيد كرامة العائلة بتبرع ضخم لجمعية درزية ، ولسواها . واعتقد ان ما ارسلته الى نيويورك بلغ نحو

الثمانية آلاف دولار . وكان من السهل ان يفتدى هـــذا المبلغ برسالة شكر .

يقولون لك ان الاحسان فيض من القلب . لحد ما هـــذا صحيح ، ولحد كبير انه خيلاء ودعاية ، وفي هذه الحادثة اعتقد انه كان نكاية

وعدت الى لبنان سنة 1948 ووجدت قريتي بعقلين تقريباً كما تركتها منذ ثلاث وعشرين سنة . وكان في المعسكر المعادي حسن الطويل بن محمود الطويل . ولكنه لم يكن في « المعسكر » المعادي على الطريقة التقليدية بل قيل لي انه في شيء اسمه «الحزب»

وكنت بعد ذلك اسمع ضجة عن الحزب القومي . ولكني لم اكن اقرأ شيئاً من كتابات الزعيم سعادة او اقرأ عنه . وصحيح القـــول اني لم اكن اقرأ في الصحف ، ما عدا الاخبـار ، الا المقالات التي اكتبها انا .

وفي مستهل سنة 1949 رشحت نفسي لرئاسـة جمعية متخرجي الجامعة الاميركية . وقيل لي يومئذ ان انطون سعاده اصدر امراً بتأييدي عن غير معرفة ، وكان منافسي الاستاذ الياس المر واخوه كان حينئذ وكيل رئيس الوزارة في يوم الانتخاب . وتوجهت بعد الانتخاب اشكر ، في زيارة تقليدية ، رئيس الحزب الذي ايدني ورد لي الزيارة في سهرة طويلة استمع بهـا الي ، ولم استمع بهـا اليه . ولقد اخبروني بعد ذلك انه كان من عادته انه يصغي ، ويصغي ، ويتلقف الكلمات قبل ان يدخل في نقاش .

واعدم سعاده سنة 1949 وتمكنت ان ألمحه خلال دقائق في

قاعة المحكمة العسكرية ، في فترة الاستراحة .

وفي اليوم الثاني كتبت مقالاً في عشرين سطر نشرتة « كل شيء » مهملة ، او ان الرقابة حذفت ، ثلاثة سطور منه . عنوان المقال « الرصاصة الثالثة عشر »

وفي صيف 1949 ألفت مسرحية ذات فصل واحد اسمها « المليون الضائع » ورحت اقرأ هذه الرواية على بعض اصدقائي الادباء واقرأها على نفسي . وكنت احس ان فيها نقصاً تلمسته فما التقطه فهي تعرض مشكلة ولا تحلها . وبقيت هذه الرواية بين يدي نحوا من سنتين لا اجد لها الخاتمة الفنية الصالحة ولا ادري ان كانت هي في حقيقة الامر فصلاً او لا من مسرحية ذات ثلاثة فصول . الى ان جاءتني يوماً رسالة من سجين وهو من اعضاء الحزب يقول لي فيها « قرأت مقدمة كتابك « غابة الكافور » وفيها تقول « ان اكبر همي في الحياة ان اقنع امي اني لم اعد طفلاً » . وزاد السجين معلقاً « ليس من الصعب على المرء ان يقنع امه انه لم يعد طفلاً بل ان الصعوبة العظمى هي في ان يقنع امته انه صار رجلاً »

وتوهمت حين قرأت هذه الرسالة ان خاتمة مسرحية « المليون الضائع » قد وجدتها . وانني كذلك اهم بأن اجد حلاً يصلح خاتمة لمشكلة حياتي . وكان ان استحال عنوان المسرحية من « المليون الضائع » الى « المنبوذ » وكان ان استحالت حياتي من جهود فردية مبعثرة الى نظامية نشاط في مؤسسة .

ولقد جرى ذلك بعد ان جاءني الاستاذ عبدالله قبرصي مصطحباً كتب الحزب يقول : « لقد درسنا كتاباتك كلها ولاحظنا سلوكك

فاكتشفنا انك منا وانه لا ينقصك الا ان تحلف اليمين وتطلع على العقيدة . وشوقني الى قراءة الكتب التي يصطحبها . قلت : « مالك وللمطبوعات ؟ تعال افهمني ما هي مبادؤكم » . فلما شرحها صحت : « أهذا كل ما في الامر ؟ . لمـــاذا لم تأتوا الي فور عودتي الى لبنان ؟ لا ارى في هذه المبادىء شيئاً جديداً . ولا شيئـــاً مغلوطاً . غير انني قبل ان انتظم اريد ان اتثبت من امور ثلاثة : اولها ان الحزب لا يحاول هدم لبنان . فان الذي قال : « اذا قيل لبنان قل موطني الهي وصل له واسجد » هو عمّي أخو ابي ، وقد افصح عن الكثير مما في نفسي نحو لبنان ، واما الأمر الثاني فهو ان لا يكون العنف من بعض اساليبكم وثالثها : ان لا اؤمر بكتابه شيء او الكف عن كتابة شيء » فاجاب : فاما لبنان فهو بعض دمنا وهو بعض بلادنا واما العنف فهي تهمة من التهم التي تُصوّب الينا . واما الكتابة فلك ان تكتب ما تشاء او ان تهمل كتابة ما تشاء . غير انني — كذا قال الاستاذ قبرصي — انتبأ لك بثروة ادبية تجنيها من تفاعل العقيدة في نفسك .

ولما رفعت يدي باليمين كان حسن الطويل الشاهد الموقع اسمه على بطاقة الانتساب . ولقد شعرت اذ ذاك بسبب ما ترسب في نفسي من احقاد قروية ، بشيء من الذل . واخال حسن الطويل احس بشيء من خيلاء الظفر . لعلنا كلانا اذ وقعنا البطاقة ترآءت لنا الشمسية الصفراء .

هذه الطفولة ، هذه القروية — وفيها الكثير من الفضائل هي

التي في نقائصها ، تسوّر مواطني هذه الامة عن بعضهم بعضا وهذا التحجر القروي او الطائفي او العائلي هو العقبة الكبرى في سبيل انتشار الاحزاب التي تستحق شرف هذه التسمية

obeikandl.com

جورج عبد المسيح

هوانزي منع الاغتيالات

خيروني ، بعد ان دخلت الحزب السوري القومي الاجتماعي، بين ان ابقى عضواً سرياً او ان اعلن انضمامي . وتواعدنا على ان نلتقي بعد اسبوع ، لأعطيهم الجواب . وخلال هـــذا الاسبوع جرت حادثتان قررنا ان اذيع امر دخولي ، فقد كنت اتناول الغداء مع الاستاذ عبد الله قبرصي في مقهى «ابو سليم» على الروشة اذ مر بنا الامير فريد شهاب مدير الامن العام وسلّم . وبعد ان مشى خطوات دار نحونا وصوب نحوي نظارتيـــه ومن خلفيهما عينان تبرقان بالشك والذكاء . وصاح مبتسماً ، وسبابته حربة تكاد تمزق من كفه : « او ... و ... عى » فشعرت اذ ذاك بشيء من الخداع اكتشفته لأول مرة في نفسي اذ اخفيت ـ هكذا اعتقدت ـ ما كان يجب ان اجاهر به .

وخلال ذلك الاسبوع احسست كأنني في بيتي وبين عائلتي وجمهور عشرائي واصدقائي ، كلهم للحزب عدو ، كأنني على كل

هؤلاء الاحباء طابور خامس . وكنا على ان نلتقي في بيت الأمين اديب قدوره في الساعة الرابعة بعد الظهر ، وقبل الموعد حضرت مأدبة غداء في البريستول تكريماً للشاعر جورج صيدح وكان بين الحاضرين الاستاذ جميل مكاوي ومعرفتي به اذ ذاك سطحية وحديثة. غير ان صديقي طارق اليافي كان قد اجتمع به مرات كثيرة في باريس وفي سويسرا . وكان طارق شديد الاعجاب بجميل مكاوي مشيداً بجرأته ووطنيته وبالمواقف المثلى التي وقفها في الميادين القومية وباعمال دبلوماسية باهرة من اجل عرب المغرب . ودارت الأحاديث حول المائدة في مختلف المواضيع . وجاء ذكر الحزب القومي الاجتماعي فكالوا له الوزنات المعهودة من شتائم وسخرية واتهامات . ولقد تضايقت جداً في تلك المأدبة .

وبعد الغداء اذ كنا نتناول القهوة ، ولسبب لا ادريه ، انفردت بجميل مكاوي وقلت له : « انت مسافر في غد الى سويسرا ، وستسمع بعد ايام انني دخلت الحزب السوري القومي الاجتماعي ما رأيك ؟ » ولم يكن جواب الاستاذ مكاوي محقراً ولا مسيئاً للحزب بل اني اذكر انه اثنى على مبادئه وتمنى لي النجاح . وكان مكتبي التجاري يومئذ على محطة الداعوق ، وخرجت منه حوالي الساعة الثالثة والنصف قاصداً الى بيت اديب قدوره . وفي ما انا انتظر تكسي لم اشعر الا واوتومبيل « كوبيه » يقف وصوت صديق يدعوني الى الجلوس معه فدرنا على البولفار متمهلين متنزهين وحين وصلنا الى قرب بيت اديب قدوره شكرت صاحب السيارة الذي اوصلني ، وكان الشيخ بيار الجميل .

ذكرني في مستقبل الايام ان اروي لك . وقد جئنا على ذكر الامير فريد شهاب - قصة المأدبة التي كدت ان ادعو اليها في ايار سنة 1949 ثم لم افعل . ذكرني ان اروي لك هذه القصة وكيف كان مكتبنا الهندسي ، يقوم بعملية ترميم قصر الامير فريد شهاب في الحدث .

شعرت بعد دخولي الحزب في الشهور الاولى بخيبة كبرى . اين الدهاليز والاسرار ؟ اين القائمة السوداء ؟ اين الطلاسم ؟ اين العبقريات ؟

أهؤلاء الذين اجتمع بهم هم قادة الامة واصحاب الكفاءات والمؤهلون للنهوض بهذه البلاد والسير بها الى قمم الحضارة والقوة؟

لقد كثرت التقولات عن اسباب دخولي الحزب القومي الاجتماعي . فالدكتور نمر طوقان مثلا يجزم انني ما انضممت الى الحزب الا لكي اتخذ حجة لنشر ذلك البيان - عفواً يا قارئي ، البيان الشهير - وهنالك عبقري اكد ان حافزي هو تحقيق امنية حياتي الكبرى بان اصبح رئيس بلدية « بعقلين » .

بلى كانت الخيبة هي اولى اختباراتي في الحزب . وكان من اهم اسباب الخيبة ذلك الكره الشديد الذي في نفسي عند لقائي الاول لجورج عبد المسيح فان مظاهره الجسدية وصوته الأبح وتلك القذائف الكلامية التي قصف بها اذني وهي خليط من فلسفة ومواعظ وذكريات وتقريع عن تهامل في الميدان الوطني وتلك الغرفة المعتمة اظلمتها السجف على شباكيها ، وعتمها بابان مقفلان ، كل ذلك هدم في نفسي شيئاً فشعرت انني قد تركت البولفار

الجميل الذي كنت اتنزه عليه ودخلت اكمة كلها اشواك وحلك . ولم تسعفني وما اعادت الطمأنينة الى نفسي، حملة صحفية استهدفتني وما هو بالشيء الهين ان تكتشف الجفاء والبعد حتى والعداء فيمن احببت وعاشرت طوال حياتك .

عدم المواخذة ، فاتني ان اخبرك ان الشاعر عمر ابو ريشة والصديق نقولا خير كانا من القلائل الذين استشرت قبل دخولي الحزب .

لم يطل الامر حتى نشأت بيني وبين جورج عبد المسيح ، عدا العلاقة الحزبية، اخوة، لا اعلم ، وانا منذ طفولتي كثير الاصدقاء ، ان بيني وبين سواه مثلها . فهو لي جد واب ، واخ ، وعم، وابن وحفيد ، واعتقد انني افهمه اكثر من سواي لانني مثله ، برغم السنين وتنوع التجارب ، لا ازال قرويا .

جورج عبد المسيح ما هو بالشخص الذي شاع عنه . ان الصورة الراسخة في ذهن الشعب ان هذا الرجل بطاش يسكر بالدماء . ولقد وجدته بعد ان عاشرته وعاملته على كل السويات الشخصية والحزبية انه طفل له جسد جبار وعقله . وله ثقافة الجبابرة . ولا اعلم في الالوف الذين عاشرت من الناس ان في احدهم من يبزه مناقبية ورفعة اخلاق . ولا اعلم ان في الدنيا من يمكن ان يتجاوزه في الانصراف لخدمة بلاده واعطائها كل ما في نفسه من مقدرة عطاء .

يقولون ان جورج عبد المسيح يوحي بالاغتيالات . خذها مني ان الذي منع الاغتيالات هو جورج عبد المسيح . ويقولون انه شرس يأمر بالهدم . ان الشراسة في جورج عبد المسيح تطفو

في بعض احاديثه ، ولكني لا اعلم من كان ، سواه ، يقدر ان يضبط هذه القوة الناقمة الثائرة التي قتل زعيمها وستة من اعضائها واضطهد وشرد الوفها. من كان يقدر ان يضبطها لولم تمسك باعنتها يدان قويتان هما يدا جورج عبد المسيح . لقد اتهمه البعض من القوميين الاجتماعيين بالجبن وبالتخاذل وبالحيرة بعد كارثة 1949 لأنه لم يرد عليها فوراً وبعنف . ولقد سمعته مرات لا عداد لها يعظ بالفتيان الذي كانوا يأتونه يومياً متطوعين لاعمال العنف قائلاً لهم ان الانتقام حقارة واننا لن نثأر لسعاده الا بانتصار مبادئه . ولو لم يكن لجورج عبد المسيح ماضٍ في القتال وشهرة في البأس لما احترم مواعظه المتهوسون من اعضاء الحـــزب السوري القومي الاجتماعي اذكر ان آخر من يطلب القتال هو الجندي. وجورج عبد المسيح تخرج في الميادين ويحمل في جسده جرحين اثنين احدهما في فلسطين والثاني ناله في لبنان .

* * *

ومن الشخصيات الحزبية التي تعرفت اليها المقدم غسان جديد. اجتمعنا لأول مرة بعد ان سرحوه من الجيش . وستثبت الايام ان هذا الرجل له كفاءات تؤهله لأن يكون من قادة العـــالم العربي . .

انه صقيل الثقافة عميقها، يتكلم الفرنسية كأحد ابنائها، ويتكلم الانكليزية بلكنة وتوقف ، شأن المثقفين الذين تعلموا لغة على كبر. وهو كاتب يجيد الكتابة في المواضيع العسكرية والفنية . عاش في اميركا نحواً من اربع سنوات ملحقاً عسكرياً في الوفد السوري

الى منظمة الامم . وكان الثقة الذي استشارته الوفود العربية في كل ما يختص بقضايانا مع اليهود ، لأنه كذلك ترأس اللجنة السورية لأعمال الهدنة وقد نال تهاني عديدة من الجيش السوري لاعماله في هذا الميدان . اما شأنه كجندي في القتال فلقد بـــدأت شهرته سنة 1947 اذ تسلل بمئة وعشرين جنـديا تخفوا في البسة الجيش الاردني وهاجموا مخيما بريطانياً في حيفا .

قيدها امامك : من قادة العالم العربي غداً المقدم غسان جديد .

* * *

كل كاتب يقنص الافـكار والالفاظ حيث يجدها . « سنلتقي » عنوان مقال ظهر لي اخيراً اقتبستها لفظة كتبت على صورة ارسلها جورج عبد المسيح الى الرفيق مشهور دندش . كذلك عنه اخذت « اكثر المنهزمين يهربون وهم قاعدون » ، اما عنوان « اخ .. تفه .. » فقد اقتبسته عن الرئيس فضل الله ابو منصور وكان ذلك بعد ان ترك الشيشكلي البلاد السورية . فضل الله ابو منصور من ابطال الانقلابات ومن ابطال الجيش السوري وقد فصله الشيشكلي عن الجيش . في اواخر ايام « اديب » شخص عصام المحايري الى حمص حيث كان غسان جديد آمر لوائها ، وموقف غسان جديد هو الذي قرر انهيار عهد الشيشكلي . لا تنسَ ان تذكرني لاقص لك حكاية مؤتمر حمص . عسى « كل شيء » لا يفوتها ان تطلب مني مقالاً موضوعه : « قوة الحزب واخطاؤه » ، على كل حال توجه فضل الله ابو منصور بمفارز من لواء غسان جديد ورابط خارج دمشق على ان يهاجمها ان لم يعتزل الشيشكلي الحكم . فضل الله

ابو منصور ابن جبل حوران - جبل الدروز . كان في الخامسة عشرة من عمره حين استهوته ألبسة الجيش الفرنسي واسلحته وخيوله فجاء الى قائد الموقع الفرنسي وقال له اريد ان اتطوع في الجيش . اجابه القائد : ارجع الى بيتك يا غلام وكل كثيراً من البرغل ثم ارجع إلي بعد سنتين . كل ما في حوران حبيب الى قلب فضل الله ابو منصور . انه يتحدث عن سلطان الاطرش كـكاهن يجيء على ذكر قديس . بعد حوادث الشيشكلي ومذبحة جبل الدروز والدور البطولي المشرف الذي وقفه الحزب جاءني الى بيروت في صباح باكر فضل الله ابو منصور . ناولته جريدة اسبوعية كانت بين يدي فقرأ فيها البرقية المزورة وقرأ فيها اننا جواسيس الشيشكلي . رمى فضل الله ابو منصور الجريدة من يده وصاح : « اخ .. تفه » قيل لي، وفضل الله ابو منصور لا يزال في البلاد السورية، انه قرأ انه مؤخراً قرأ الجريدة الاسبوعية وصاح ثانية : « اخ .. تفه .. »

ولا يعرف اهمية الانضباط الحزبي والمعجزة التي حققتها الحركة القومية الاجتماعية الا الذي تعرف الى بطولات فضل الله ابو منصور وكيف اكتنزت الاجيال البطولة في دمه فجاء الحزب فروضها فاذا بابن حوران كأي قومي اجتماعي آخر يقبل الامر ويطيعه ..

هنا اتمهل بكثير من الخشوع لاتحدث عن زوجة الشهيد ورفيقته التي سجنوها .

سنة 1948 كنت في سجن مع سعد الدين الجارودي وكامل حماده في مانيلا . ودخل ذلك السجن الرهيب مواطنون لنا منهم

فؤاد جريديني وعبدالله معصب . حتى ذلك التاريخ كانت الدنيا تحسب ان البشر لم ينتجوا ضواري اشرس واظلم وأحط من بعض اليابانيين . ولكن هؤلاء اليابانيين انفسهم ، وقد سجنوا سعد الدين الجارودي وفؤاد جريديني وعبدالله معصب ، وسجنوني ، كانوا يمنعوننا « شرف الفروسية » اذ انهم تعلموا في مدارسهم ان بلادنا اشتهرت بالفروسية وبذلك الاحترام يوجه للنساء .

يا خجل ضواري اليابانيين ويا خجلنا امام الدنيا اذ سجل انذال من شعبنا احقر جريمة عرفها تاريخنا ، اذ شدوا بشعر زوجة الشهيد امام طفلات انطون سعاده وشتموها .

تعددت اجتماعاتي بحضرة الامينة الاولى فهي رفيقة كل قومي اجتماعي وهي امه وهي اخته . كان كل همي حين اتحدث اليها ان افجر تلك الدموع الحبيسة التي وقفت خلف عينيها . كنت اخال انني اعده ظفراً ان انجح بتفجير خزان الآلام فتنهمر بكاء . كنت اتمنى ان اذكرها بالزعيم وحوادثه وحياته رجاء ان تموع فتبكي ، ولكنها لم تفعل . كلما اتمناه اليوم ان تضعف الامينة الاولى فتبكي ولو مرة واحدة ولكني اخالها لن تفعل .

ما معنى لفظة « الامين » او « الامينة » ؟ انه لقب يعطي لاي قومي اجتماعي بعد ان يمر عليه سنوات خمس في الحزب يظهر خلالها في الانتاج شيئاً من التفوق . ليس للامين اية مسئولية كانت الا ان له الحق ان يساهم في انتخاب المجلس الاعلى . وفيما عدا ذلك ، ان هو لم يتسلم مسئولية ما ، فشأنه وشأن اي قومي اجتماعي آخر سواء . والامينة الاولى بحكم امومتها وشهادة الزعيم ، ما اشتركت

في المسؤوليات ولا تسلمتها ولا طلبتها وهي بعيدة - في اكثر الاحيان - عن نشاط الحزب .

توهمت فور دخولي الحزب انني في غابة مظلمة - ذلك لان عيني بهرهما مزيف الشعاع في ذلك الصالون الذي كنت اعيش فيه . واليوم ارى الاشياء في العتمة كما هي لان عيني استعادتا النظرة الطبيعية الصحيحة للاشياء .

obeikandl.com

اليد التي توقع الصلح
مع اسرائيل .. تقطع من العنق

.. وحين شاع امر دخولي الحزب سرت اشاعة انني اصبحت زعيمه « خليفة سعاده » . ذلك لأن الاكثرين يجهلون ان ما يضبط الحزب هو دستور ، والذي يسيره هو شيء فوق الدستور ، شيء غير مكتوب — ارادة القوميين الاجتماعيين - وهي لا تفرض عليهم بل هي شيء يكتسب بالولاء والانتاج الحزبي .

ذكرت امر «زعامتي» للحزب بعد شهور من انضمامي للحركة اذ كنت اقرأ في النظام الجديد ، منتظراً اذناً بالدخول على احد المسؤولين . اذكر انني قرأت نحواً من 82 صفحة فيما كان المسؤول منشغلاً عني وانا خارج الباب ، والنـــاس اذ ذاك يتحدثون بانني « زعيم » الحزب ... وبقيت من غير مسؤولية « وظيفة » حتى في الانتخابات النيابية عام 1953 اذ كان بعضهم يفاوضني بتأييد الحزب له - لم يعرف الاكثرون ان كل شأني حينذاك كان تدبير سيارات للدكتور عبد الله سعاده مرشحنا في الكورة . هنا يثور

سؤال : لمن الرأي في الحزب ؟

فالناس يتوهمون ان امراً يصدره شخص فيطاع . هذا صحيح وغير صحيح . فالأمر يصدره شخص ، وفي اكثر الاحيان تصدره هيئة مسؤولة . ولكنني لا اعرف خلال ما يقرب من سنوات خمس ان امراً صدر إلا بعد دراسة وتشاور وتقارير ، وكان اكثر ما يوحي هذه الاوامر الرأي العام بين القوميين الاجتماعيين . لذلك كثيراً ما اضحك حين اسمع ، وبالاخص في ايام الانتخابات ، ان المرشح الفلاني صرح بانه صديق لفلان من « اركان » الحزب ، وانه يستطيع ان يستصدر امراً برفة عين وينتهي الامر

لمن الرأي في الحزب ؟ لمن الشأن ؟ .

الدستور حدد الصلاحيات والمسؤوليات . ولكن الرأي هو للرأي . ان هنالك قرارات هامة أوحى بها اقتراح من عضو في مديرية « القلمون » مثلاً قرب طرابلس . والشأن في الحزب — بقطع النظر عن المسؤولية — هو للذي يكسب بالقدوة وبالعمل وبالولاء احترام الاعضاء . وهذا الاحترام لا يقترع عليه بل هو شيء تلمسه وتحس به . لا اعلم اناساً اشد قساوة من القوميين الاجتماعيين على رفقائهم ، انهم يحاسبون بعضهم على كل كلمة يقرأونها او يسمعونها . وعلى كل عمل . وفي المدى البعيد هـــذا وحده ما يقرر شأن القومي الاجتماعي في حزبه .

واخيراً تسلمت مسؤولية منفذية بيروت . وموّل هـــذه المنفذية ، فور نشوئها ، من باع بعض حاجيات في بيته ضرورية

حتى ركز امورها المالية . وبعد شهرين تولد موقف في احد الليالي اوجب ما يسمى « حالة تنبه » . وجلست لأكتب الامر الاول الذي اخطه . فبدأت الرسالة : « حضرة الرفيق فلان .. ارجو ان تأتوا الى بيروت . » وكان الى جانبي مرشد من القدامى في الحزب ، فتناول الورقة مني وكتب سواها هكذا : « حضرة الرفيق فلان .. تبلغوا وبلغوا ان عليكم .. »

وبعد اربعين دقيقة اقبل الرفيق ليلقي التحية ويتلقى التعليمات . طفنا في تلك الليلة على المديريات مرتين ، الاولى لنتفقد القوى ، والثانية لنذيع انتهاء حالة التنبه

« تبلغوا وبلغوا .. »

كلمتان حفرتا في عقلي وقلبي شيئاً لا يمحى . هذا الحزب الذي لا يعد اعضاء الا بالتضحية والحرمان ، اي شيء فيه يوحي الطاعة ؟.

« تبلغوا وبلغوا .. »

وفي اجتماع احدي المديريات انتصب امامي احد مشهوري الرياضيين في هذه البلدة . ورحت اعنفه بقساوة عن تقصير وهو — كما يجب ان يكون — ساكت . وفي ذروة فصاحتي لمع في ذهني هذا التساؤل : اي سلطة لي على هذا الرجل ؟ من الواضح ان في عضلاته قوة لو شاءت لرمتني من النافذة . وفجأة اخرستني دمعة . في هذا الحزب شيء كبير ضخم لا تقرأه في منشوراته . يجب ان تحياه حتى تفهمه .

غير ان حياة المسؤول في الحزب ما هي كلها اوامر يصدرها . جاءني يوماً احد الاعضاء برسالة في مغلف مقفل موجهة الى عميد

في الحزب . سألته ما في الرسالة حتى اقفلها عني . اجاب العضو « هذا سؤال ليس من حقك ان تسأله . فالدستور كفل لي حق الاتصال بمن هو فوقك بالمسؤولية . اما وقد طرحت هذا السؤال فخذ علماً ان في هذا المغلف شكوى عليك » .

وبالطبع فقد وصلت الرسالة الى المرجع المختص وكانت من رفيق مهنته الحلاقة .

ومرة ثانية جاء في غيره برسالة مقفلة الى الرئيس ، وغلب علي الفضول فطرحت السؤال فاجابني العضو « هذه امور هامة اجد انها اكبر من ان يعالجها منفـــذ في الحزب فوجهت الامر الى حضرة الرئيس » .

دستور الحزب كفل حق العضو فيما هو حتم عليه ممارسة الواجب .

بين الاوراق الذي صادرها الجيش السوري في دمشق شكاوى ودعاوي حزبية لا عد لها . اذكر ان الحزب طرد احد اعضائه فور خروجه من السجن حين ثبت سلوكه الشائن بين جدران السجن . اذكر ان احد القوميين تقدم بدعوى ضدي لانني سمحت لألبر رزق ـ « عدو الحزب » بتعهد « نادي المتخرجين » بدلاً من ان الزم النادي لاحد القوميين .

وبعد ان اصبحت « منفذ بيروت » اتصل بي احد الاجانب يريد بحث امر سياسي . فاستمهلته وتلفنت المسؤول فجاء الجواب « باحثـــه علناً في ساحة البرج ، او سراً في قـاع البحر » وتعددت بعد ذلك خلال ما يقرب من سنتين اجتماعاتنا باجانب سياسيين وثقافيين وتجار . بعضهم يتستر بهن ولكنهم في حقيقة الامر رجال

استخبارات . وهم ينتمون الى دول مختلفة . وكانت كل اجتماعاتنا تنتهي بعراك فتنقطع ثم تتجدد .

ماذا كانت هذه الابحاث تتناول ؟

كانوا يعظون بأن الشيوعية تهدد العالم - وبالتالي بلادنا - بالافناء . وكان الجواب ان الحزب ادرك هذا الخطر منذ نشأته وحارب الشيوعية حرباً غير متقطعة وكافحها في فترات كان الغربيون خلالها يتساقون كؤوس الشمبانيا مع سادة الكرملين . كانوا يطلبون معلومات عن الشيوعية وكنا نجيبهم نحن سادة البلاد وانتم الاغراب . فإن شئتم مكافحة الشيوعية فزودونا انتم بما عندكم من معلومات عالمية . فاستخباراتنا هي لمعلوماتنا نحن والشيوعيين هم مواطنون لنا وان كانوا مواطنين مرضى ، ولا نسمح لغريب ان يتجسس عليهم . وكانوا يسألون ماذا تريدون ؟ وكان الجواب ان ينقطعوا عن التدخل في شؤون بلادنا وان يمحقوا هذا الحلف الشرير القائم بينهم وبين الضعفاء والفاسدين من حكامنا ومتنفذينا . وكانوا - اكثر ما كانوا يبحثون - يصلح مع « اسرائيل » ويتعايش سلمي معها وانهم اذ ذاك يغرقون بلادنا بالاعانات والاموال وكان الجواب « ان اليد التي توقع الصلح مع اسرائيل نقطعها من العنق »

امام الحزب مع سنوات

ليمنتصر اي بتلاشي

حين رجعت الى بيروت في نيسان 1948 كان بين الاحلام التي حققتها الحياة اجتماعي برفيق في الدراسة كان ولا يزال من احب الناس الي . وكنت كأي مغترب عائد هدفاً لنصائح يتطوع باسدائها كل زائر . غير ان هذا الصديق كانت لكلماته نبرة الود الاصيل وفيها اختبارات الحياة ، قال لي : « البلاد ليست كما تركتها ، وانت عائد من جهنم حرب ، اسمع مني وتعال نقضي سائر الحياة مفتشين عن احسن مقهى وافخم مطعم واطيب اركيلة واجمل امرأة . تعال نضرب هذه الدنيا بصرمة » اجبت : « ان فعلنا كل ذلك الا تكون الدنيا قد ضربتنا بصرمة ؟ »

هذا الصديق اجتمع اليه مرات متقطعة نعيش خلالها في واحة من الود الطاهر والأخوة الصحيحة . غير اني في الشهرين الاخيرين لم اجتمع اليه . وقد تلفن إلي مساء يقول انه قادم لزيارتي فسألته ألا يفعل اذ انه في تلك الليلة وفي الليلة التي سبقتها حدثت حول

بيتي حوادث عدة منها القبض على جاسوس المكتب الثاني كان يراقب بيتي . ومنها ان « جيب » وفيه بعض رجال المكتب الثاني كان يدور حول بيتي ويقف بالقرب منه ، فيستفهم السائق عن محلات الآ. ب. ث. مثلاً ، ومن هذه الحوادث ان بعض قوى الامن طاردت شيوعيين كانوا تحت اشراف الاستاذ حسيب غير مرابطين حول بيتي . وتأتي انباء المعذبين في دمشق فاذا بالبرقية يسألون الكثير عن سعيد تقي الدين وعن بيته والتحصينات التي فيه والحرس المرابط حوله وعن المختبئين في البيت .

اسائل نفسي ما الذي فعلت حتى استحق كل هذا التكريم ؟ ولا استعمل لفظة «التكريم» بروح العبث او السخرية او الدعابة . لقد اجتمعت مؤخراً بمسئول كبير في هذه الدولة فقـــال لي في معرض النصح : « كل الناس اصدقاؤك ، كلهم يودونك ويحترمونك لماذا لا تنسحب من الحزب السوري القومي الاجتماعي فترجع صديقا للجميع ؟ ان انسحبت انت من الحزب فما الذي يبقى فيه ؟» هذا السؤال هو الذي كان يعذبني كثيراً فاني كثيرا ما احاسب نفسي ان كتاباتي ضخمت شأني في الحزب السوري القومي الاجتماعي . وان مساهمتي لا تستحق هذا التكريم لا من الرفقاء ولا من الاعداء الحزب هو يوسف قائد بيه وخليل الطويل خلف قضبان السجن . الحزب هو ناظر التدريب في منفذية النبي عثمان يترك بستانه وينطلق في جرود بعلبك مبشراً . الحزب هو خالده صالح الفتاة الاديبة تتطوع للمخاطر . الحزب هو « ادونيس » الشاعر تتـــلوى نفسه من الظلمات . الحزب هو الف « جميل عربان » يتطوع بمهمة

تنتهي به للتهذيب او للموت . اما الذين تضج بهم الصفحات فهم اقل من في الحزب اهمية . لو ان هـــذا الحزب كان كتابة وخطابة وفصاحة وبياناً لكان انتهى امره من زمن بعيد . اذن وقوة الحزب هي غير منظورة وغير ملحوظة وغير ضجاجة فما هي بعض مواطن الضعف فيه ؟ . في اللغة الفرنجية لفظة : « Atavism » لا ادري ان كانوا قـد نقلوها الى العربية بلفظة تؤدي المعنى ، لعل اقرب الاصلاحات لترجمتها هي : « الردة الوراثية » وهي التي تظهر بالوليد مزايامن جسدية ونفسية ترجع الى جد بعيد بعيد . في صفوف الحزب القومي الاجتماعي بين اعضائه تظهر هذه الردة ، هذه الـ « Atavism » في كثير من الحالات لان الحركة القومية الاجتماعية نهضة تربوية تثقف المواطن بما كان يجب على المدرسة وعلى البيت وعلى الابوين ان يثقفوه بها . فهذه التربية وقد جاءت اعضاء الحزب على « كبر » وابتنت على غير اساس متين بنته العائلة او المدرسة ، هي ابـداً معرضة لردات في النفس الى مفاسد وضعف سيطر على هذه النفس قبل اعتناقها القومية الاجتماعية . في صفوف الحزب وبين اعضاء معنيين كثير من الوشوشة والثرثرة ، من تحليل لحوادث 1949 اجد ان اكثر الخيانات التي سرى امرها بين الناس هي غير صحيحة سببها الوشوشة والثرثرة . لقـــد كان في الحزب خونة ولكن عددهم كان اقل بكثير مما ينتظر في مؤسسة كهذا عدد اعضائها . للحزب شهرة بالنظامية . ولكنني اعتقد ان الايمان في الاعضاء هو اشد من نظاميتهم هو هتفة في النفس لا تحتاج الى ترويض ، والنظام هو تدريب اكثر منه عاطفة . منذ اسبوعين دخل

علي في البيت احد الاعضاء وتاريخه الحزبي ناصع مشرق فوجدني ، كما يجدني كل زوار بيتي في الصيف ، مرتدياً القميص والكلسون فاغتاظ وظن ان استقبالي له في هذه الحالة تحقير له . ذلك لأن هذا الرفيق نشأ كما نشأنا جميعاً على ان اظهار بعض اجزاء الجسد هو « عيب » لذلك نحن نقول : « رجلي ، انت اكبر قدر » ونحن لو فقهنا لعرفنا ان القدم ، كالاذن وكالقلب والعين ، لا تستحق التحقير .

فبعض مواطن الضعف في الحركة القومية الاجتماعية هي هذه الرده الى خلايا في النفس ، محتها هذه النهضة او خلايا في النفس تبعث في النفس بعض او كل ما نشرته في النفس القومية الاجتماعية من فضائل . كانوا في ما مضى يغنون : « نعبد في الدنيا ربين ـ الله وانطون سعاده » ذلك لان المقبلين على حركة ارادت ان تحررهم من عبودية شخص ثارت فيها الردة فارادت ان تعبد شخصاً آخر . هذه الاغنية بحث المسئولون في الانقطاع عنها بامر حزبي ولكن هذه الاغنية خرست الى الابد بفضل التربية التي فعلت في نفوس القوميين ومن غير أمر

هذه الردة ستظهر في المحاكمات التي ستجري في دمشق . فان اكثر القوميين اظهروا جرأة وشجاعة وبطولة ولكننا نترقب ان يكون بينهم في يوم المحاكمات من تثور في نفسه الردة ـ خلايا الضعف والفساد ـ التي خدرتها النهضة . بين الامين معروف صعب وبين رئيس الحزب عداء اسبابه كثيرة منها ان جورج عبد المسيح قوي الجسد قوي الروح مقاتل . ومنها ان جورج عبد المسيح شديد القساوة في مقاييسه الحزبية ، ومنها ذلك الطبع الانساني الذي يبغض التفوق خصوصاً حين يتضح قوة جسدية . بسبب كل هذا

كان الامين معروف صعب قيد المحاكمة الحزبية وكان عداؤه لرئيس الحزب جورج عبد المسيح سافراً ولن يكون متعجباً في يوم المحاكمة .

يقول بعض علماء الاجتماع ان كل نهضة لا تنتصر في الثلاثين سنة الاولى من حياتها تفنى وتتلاشى . والنهضة القومية الاجتماعية عمرها ثلاثة وعشرون سنة . الملاحظات الاجتماعية ليست لها دقة العلم . على اننا لو سلمنا بهذه النظرية فأمام الحزب السوري القومي الاجتماعي سبع سنوات ليحقق فيه النصر او يتلاشى ؛ برغم كل مواطن الضعف التي اوردناها وبرغم الردة التي شرحناها ففي يقيني ان هذه السنوات السبع المقبلة ستسجل النصر . واكبر الظن ان لن يأتي في سبع سنوات بل في سبعة شهور ، وانني استمر في نشاطي لان خلايا نفسي لن تخضع للردة ، فلن افتش عن اطيب اركيلة وافخم مطعم واجمل امرأة ! .

مواطن الضعف في الحزب القومي

أتمهل هنيهة طويلة قبل ان اسطر هذا المقال.

ما الضعف ؟ ما القوة ؟

هل هناك جوهر مجرد اسمه ضعف — او كله ضعف — او قوة ؟

أم تحمل القوة في نفسها عناصر الضعف ، والعكس بالعكس؟

الحزب ، مرهق فقير . ودعاوته تتحدى ما يبدو مستحيلاً . وتعابيره الحزبية للوهلة الاولى غريبة ، وفي اكثر الاحيان مزعجة صافعة .

أفي ذلك ضعف أم قوة ، أم كلاهما مجتمعان ؟

لك ان تجيب على هـــذه الاسئلة على لسان بشار بن برد : « خرجت بالصمت عن لا ونعم » .

أتستطيع هذه الحركة ان تنجح وليس في صندوقها قرش ؟

وهذا البراز المستمر اذ تقول لمن نشأ وانتشى على انه درزي ، او ماروني او شيعي او سني : «انت سوري » ، واذ تقول لهذا الجيل الطالع في لبنان « انت سوري من لبنان » ولابن العراق

الذي ما عرف إلا انه عراقي او عربي ، كيف لهذه الحركة ان تقنعه انه سوري ، هذا مستحيل . ولماذا كل هذه الكركبة ؟ هنالك اساليب سهلة فلماذا لم يتبعها سعاده ؟ وهذه الـ «تحياسوريه» لماذا ؟ مرحبا ، وبونجور ، صباح الخير ، ونهارك سعيد ، كلها أخف على السمع واقرب الى القلب .

أما المال فليس اكثر تقديراً له من الذي هو في حاجة اليه .

وفي حياتي الحزبية لم تمر بي ايام شعرت فيها بحاجة الحزب للمال وبسهولة تناوله من فترة انتخابات المتن الاخيرة التي عقبت وفاة الاستاذ اميل لحود . كان المرشحون ثلاثة : سليم لحود ، خليل ابو جوده ، شاهين شاهين . والثلاثة اغراب عن الحزب ولا اعتقد ان انتخاب اي واحد منهم يغير في مجرى تاريخ بلادنا . وكلهم انفق على الانتخابات . وكلهم كان في شوق حار لتأييدنا له . وبدلاً من ان نؤيد احدهم هرعنا الى حبيب عقل - بعد ان تخلى عنه حزبه - وحملناه ان يرشح نفسه ، ولحد ما تكبدنا بعض مصاريف . لماذا ؟

ما السبب الذي قرر هذه الخطوة ؟ هذا هو السؤال .

ما الذي يجعل القومي الاجتماعي ولياً لحزبه مقاتلاً من اجله ؟ أمليون ليرا مخبأة في مصرف ، أم تحرق لتحقيق غاية يناضل فيما هو يناضل ، من اجلها ، العوز وصعوبة اسباب العيش ؟

في تاريخ الاحزاب حركات نجحت حين وجدت من يمولها ، وحركات نجحت وهي ضامرة الخصر . المال يختصر الطريق ، والمال اذ يشيع الرخاوة يقعد بالسائر عن السير في الطريق .

الثـورة السورية 1925 ـ 1927 تلاشت حـين تدفقت عليها اموال المفتربين . ودولة « اسرائيل » ما كانت لتنشأ لو ان احد المسؤولين في دولة عربية وقع شكاً بمئة الف جنيه ثمن مخيم عتاد حربية جاء ثلاثة ضباط بريطانيون الى « سان جورج » ليبيعوه . هو نفس المخيم الذي مشى اليه المقدم غسان جديد على رأس قوة من مئة وعشرين مقاتل ، عبر المستعمرات اليهودية ، ونال بسبب هذه البطولة أرفع وسام يمنحه الجيش السوري . ولا يتزين بهذا الوسام الا اثنان احدهما غسان جديد .

المال يقوي والمال يضعف . « خرجت بالصمت عن لا ونعم » عقيدة سعاده تؤمن بالمادة وبالروح . كلاهما واحد . هذه هي على ما افهم ، المدرجية .

والمال ـ عدم وجوده ـ هو الذي هدم بالحزب منذ نشأته . سعاده كان يركب الترامواي بصحبة من كان يدفع عنه . مـن الارجنتين كان يكتب لتلميـذ في الولايات المتحدة اسمـه غسان تويني يستعجل تبرع الرفقاء بخمسماية دولار . وبعد ثلاثة وعشرين سنة وتلامذة سعـاده ، وفيهم اليوم الثري والموسر ، لا يزال المال ـ عدم وجوده ـ يؤخر في سير الحركة ، او يدفع بها الى الامام .

ولكن الاشتراكات والتبرعات ـ خصوصاً في الازمات ـ تستمر سيلاً شحيحاً او متدفقاً . والخدمات المجانية التي يتطوع لها الرفقاء خلال السنة لا تشتريها الملايين . كثيراً ما نفاخر ان الحزب فقير . بعضنا لا يجد في الفقر مدعاة المفاخرة .

اما الدعاوة فالضعف فيها – او القوة – مردها الى امرين : هذه الحدة والقساوة ، وكدت اقول الشراسة في كلام بعضنا او كتاباتهم . كثيراً ما ابعدت عنا الناس . اذكر في سنة 1950 كنت في جريدة «النهار» اذ وثب إلي – خلت انه واثب الى عنقي – فتى من خلف جهاز الراديو وراح يقصفني بكلمات «الزعم .. الزعيم ... سوريا ... امة تامة .. الخصوصيات المرتكزات .. المعطيات .. ان فيكم قوة .. » واستمر هذا القصف اكثر من ساعة . لا اذكر من تلك المباحثة إلا ان نظارتين كانتا ترتجفان امام عيني وساعدين يدوران في الجو كدولاب الناعورة. واخيراً سألت الفتى اسم حضرتك ؟ اجاب : « انا القومي الاجتماعي جبران حايك ». من المؤكد ان لهجة جبران العدوانية ابعدتني عن الحزب .

ما سبب هذا ؟ وهل هو ضعف ام قوة ؟

السبب هو ان الواحد متى تجند في الحزب اصبح يحس حدة مشكلات بلاده ، فالحدة في نفسه ، فهو ناقم على كل مواطن يحسب نفسه سائحاً في بلاده متفرجا على ما يجري وهو كذلك يوقن ان امر انقاذ بلاده هين ان تحسس مشاكلها كل مواطن ، فهو عنيف ينحو باللائمة على المتفرجين . ثم ان النظام الحزبي وما توقظ بالرفيق « روح الجماعة » يجعله مقاتلاً . هذا العنف في الحديث وفي الكتابة اضعف الحزب بأن ابعد عنه الكثيرين . ولكن ما حيلتك واكثر رأسمال الحزب – كأكثر رأسمال اي جيش – ان افراده يجب ان يكونوا ملتهبين حماسة بالايمان مستعدين للصراع .

وما دمنا قد جئنا على ذكر جبران حايك فما قولك انني اليوم

اخاطبه ، ويخاطبني ، بـ ـ حضرة الرفيق ـ . ولماذا كل هـذه ـ العجقة ـ في الاصطلاحات وفي السلام وفي الجلوس وفي افتتاح الجلسات واختتامها ؟

الجواب بسيط. كل شيء مدروس وله اسباب سيكولوجية. واكثر ما نمارسه نمارسه سوانا من المؤسسات الراقية . ان مخاطبة سوالك بـ ـ يا حضرة الرفيق ـ يغمركما بلياقة وكياسة تمنع الاصطدام . فكم من مرة كاد يتضارب احدنا مع الآخر لولا ـ حضرة الرفيق ـ يستحيل ان تقول لاحد مثلاً : « حضرة الرفيق يلعن ابوك » . فهذه الكياسة المفروضة وهي تمارس في كل الجيوش ـ تصون التعامل ، فيما تصون وتستبقيه في دائرة الكياسة .

وبعد ، فهذه حركة هي انقاذ . كذا قالت للناس ، كذا قالت لنفسها . كذا وعدت وكذا تنفذ .

من يقدر ان يخطط لعظائم الامور جالساً الى كأس عرق او في جو من الدعاب . في الكنيسة ، وفي المسجد ، وفي مكاتب العمل طقوس عبادة ، وسلوكية عمل ، وهذه الحركة تتبع مناقبية سلوك وشكليات تزعج المتفرجين على بلادهم ، فهي ضعف بانها لا تستهويهم الى صفوفها ، ولكن هذه النهضة لا تتودد الى السواح بل الى المناضلين .

يا حضرة القارىء ـ حضرة الرفيق ـ كل تغيير ، كل تمرد ، كل تحول ، كل ثورة فيها الغريب . وكل جديد غريب ، وحركتنا فيها الغرابة ، فيها غير المألوف لانها في جوهرها تريد ان تغترب عن المألوف الذي حجّرنا .

علاقة الرئيس شمعون بالحزب القومي

كثرت كتابة المأجورين في الاسابيع الاخيرة عن صداقات ود تربطني بفخامة رئيس الجمهورية اللبنانية ، وعن اجتماعات الرئيس بجورج عبد المسيح ، بل ان مسئولا كبيراً في دمشق ، تعلم اساليب الدعاية المرهفة ، راح يوشوش زائريه مستحلفاً اياهم بحفظ السر ان بين يدي حضرة المسئول في دمشق صورة رئيس الجمهورية مجتمعاً الى جورج عبد المسيح واندفع مأجور آخر يذكر الناس بخطاب ألقيته في حفلة « الكتائب » وبخطاب آخر في حضرة الرئيس السابق بشاره الخوري ، الذي كنت معه كأني من اهل بيته ألاعبه « البردج » في السهرات .

من اكبر مواطن الضعف في الحزب القومي ان ليس فيه من يلاعب رؤساء الجمهوريات — البردج . وليس فيه من يدخل قصر الجمهورية كأنه من اهل البيت .

وما دمنا قد جئنا على هذا الموضوع فلا بأس من ان اذكر

ان الخطاب الذي ألقيته في حفلة الكتائب وعنوانه : « خطاب يفتش عن موضوع » كان من جملة الأسباب التي حفزت بعض مسؤولي الحزب السوري القومي الى دعوتي اليه ، وان خطابي « القرميدة المكسورة » الذي القيته في حفلة الرئيس بشاره الخوري كان اعنف انتقاد وجه الى رئيس جمهورية ، ضمن كياسة الأدب ، القي في حضرته . كلاهما منشوران في كتابي « سيداتي سادتي »

لنتبسط قليلاً ، من اجل تلمس مواطن الضعف في الحزب ، بالحديث عن فخامة الرئيس ، وعن وزير الاشغال الاستاذ مغبغب

على الصعيد الشخصي كان ابي ، محمود تقي الدين ، وكان أب الرئيس الحالي نمر شمعون صديقين حميمين نفيا معاً الى الاناضول في زمن الاتراك . وكنت اراهما مراراً لا عداد لها على بلكونتنا في — الحدث — مع سواهما من موظفي حكومة جبل لبنان ايام الحرب العالمية الاولى ، يتساقون كؤوس العرق . ولقد درست في دير — مار انطون — في بعبدا مع اميل شمعون وفؤاد شمعون . ومن « الفيليبين » تكلمت على التلفون الى نيويورك مع رئيس الوفد اللبناني الاستاذ كميل شمعون مرات عديدة وتبادلت واياه تلغرافات تعد كلماتها بالالوف ، بمناسبة تقسيم فلسطين . وقبل ان ارجع الى لبنان كتبت مقالاً ظهر في « الصياد » عنوانه : « وجهان عربيان » وكان عن عادل ارسلان وكميل شمعون .

وكان الحزب — منذ سنة 1948 — يساند كميل شمعون المعارض ضد رئيس الجمهورية بشاره الخوري ، وان اعتبرت بكم صوت فاز المعارضون الخمسة في الشوف سنة 1951 ، وكم للحزب من قوة في

هذه المنطقة انتهيت الى حقيقة وهو ان عهد بشاره الخوري كان قد طعن المعارضة ، على الصعيد الانتخابي ، لولا اصوات الحزب .

وقبيل اعتزال بشاره الخوري الحكم كانت علاقة المعارضة بالحزب متوثقة ، وكانت اجتماعات الاستاذ كميل شمعون بممثلي الحزب يومية والتعاون على اتمه . وفي ازمة ايلول ، وقد سبقها يوم « دير القمر » كان للحزب فضل – ولا نريد ان نقول كل الفضل – في استمرار الاضراب في بيروت وفي ان السلطة العسكرية اشارت على بشاره الخوري بالاعتزال ، فالرئيس شمعون وبعض اصدقائه الخلص يعرفون من كان مستعداً ، لو لم يعتزل بشاره الخوري الحكم .

اما وزير الاشغال الاستاذ مغبغب فهو ابن خال لأمين في الحزب ، وبين عائلته وبين اعضاء الحزب صداقات عائلية ترجع الى ما قبل مولد نعيم مغبغب . ولقد ساندته الحزب ، وكان فوز مغبغب باصوات ضئيلة في الانتخابات الاخيرة ، لسبب واحد هو ان نعيم مغبغب في ازمة لبنان الكبرى – ازمة الصراع من اجل التخلص من المستعمر ونيل الاستقلال – نعيم مغبغب هذا رمى قنابل ، واطلق رصاصاً ، وحمل بارودة في سبيل الحرية .

وما الذي نلناه في عهد رئاسة شمعون ووزارة نعيم مغبغب ؟

لم يرخص الرئيس شمعون للحزب بالعمـــل . لم يطلق اسراح مساجينه – نسميهم « الاسرى » – مئات منا مثلوا امام القضاء « بتهمة » الاجتماع . كتب الحزب ضبطت واحرقت . مئات دخـــلوا السجن . يوم الاضطراب الطائفي في بيروت وزعنا

منشوراً خطه سماده ضد التعصب الطائفي . منشوراً تفخر بان تعلقه على حائط صالون بيتك ليحفظه اولادك ويقرأه زائروك . سأمثل أمام القضاء ، في محكمة اميل شمعون ، لادافع عن نفسي في جريمة توزيع هذا المنشور .

وفي عهـــد شمعون ، ووزير الاشغال نعيم مغبغب ، قريب بعضنا ، وصديق بعضنا ، الوزير الذي انتخبه ، لحد بعيد ، الحزب نائباً ، على ماذا حصلنا ؟ في وزارته اعمال المطار ، والمرفأ ، واكثر اشغال النقطة الرابعة ، والاوتوستراد واشغال الطرقات وسواها — على ماذا حصلنا ؟ اتحدى اياً كان من الناس ان يقول من هو القومي الاجتماعي الذي حاز على وظيفة او ترقيـة ، او التزام . وحتى اكون صادقاً مئة بالمئة فان المنفعة الوحيدة التي نلنـاها في هذا العهد ان الوزير مغبغب عين لنا — بعد مراجعة اربعة شهور — الرفيق فايز ملاعب من بيصور رئيس ورشة بمعاش اربع ليرات يوميـــاً .

يا ليت الرئيس شمعون من اصفيائنا . لقد قابلته مرة واحده طوال عهـده ، وقابلت رئيس الجمهورية السورية ثلاث مرات . اقول هـذا بخجل كثير لان من اهم مواطن الضعف في الحزب السوري القومي الاجتماعي انه لم يترجم قوته الشعبية الى نفوذ في السرايات .

بدون شك ان نقولا بسترس — ولا اقصد ان احقره او اسيء اليه بل هو اسم ورد الى خاطري — له في السرايات نفوذ اكثر من الحزب السوري القومي الاجتماعي .

هل هذا الضعف يلام عليه الحزب؟ لحد ما نعم . ولحد ما لا . فبعض الذين اوصلهم الحزب الى حفـــلات الكوكتيل داخوا بكؤوسها . وبعض الذين جاؤوا الى الحزب عن طريق الحفلات تركوه او أتركوه اذ ان العمـــل الحزبي ما هو بحفله . اديب الشيشكلي كان عضواً الى حين دارت به الكرسي فداخ .

ان الحزب السوري القومي الاجتماعي سيختصر الطريق الى نجاحه حين يتمكن ان يصبح قوة في السراى .

ولعل هـــذا هو السبب الذي من اجله اقفلت بوجهه ابواب السراي .

الجزيرة الغرقى

استلفت نظر بعض العلمـــاء ان اسراب الطيور في هجرتها السنوية من شمالي اوروبا الى اميركا الجنوبية كانت تتمهل فوق نقطة معينة من الاوقيانوس الاطلانتيكي فتحوم وتحوم ، ثم تستمر في طيرانها نحو الجنوب .

وبحث العلماء واستقروا فاذا في تلك النقطة المعينة ، تحت المياه ، جزيرة غرقى . واذا بالطيور ، بحكم غريزة تحدرت اليها من آبائها ، تقف فوق المياه وتهم بأن تحط ، ولكن الجزيرة التي كانت تأوى اليها الطيور فيما مضى غاصت في مياه الاوقيانوس منذ مئات السنين .

ان مواطنينا اسراب طيور يريدون ان يهجروا المسكن القديم ولكنهم يحومون فوق جزر لن يقدروا ان يلجأوا اليها ولا ان يجعلوا منها معاقل لأنها جزر غرقى .

فالذي يقول لك ان الاسلام يوحي الجهاد – اليوم – لا يفقه ان تركيا وايران والافغانستان هي دول اسلامية – على التحديد الشائع – وانها تتعامل مع اسرائيل .

وهو نفسه يتناسى ان الدول التي سلمت لليهود ما اصطلح الناس على تسميته « الارض المقدسة » هي دول مسيحية .

وهو نفسه الذي يذكر ان دروز لبنان سنة 1925 كانوا يرعون بالمئات لنصرة ثورة درزية يوم احرق سلطان الاطرش داره حين عجزت عن ان تحمي لاجئاً . وهو نفسه الذي لا يريد ان يتعرف الى الحوادث الاخيرة – واحداها ان رجال المكتب الثاني اقتحموا دار الامير حسن الاطرش فنكلوا بابنه ونقلوه الى « الجيب » مغمياً عليه ، بعد ان اهانوا قريبات السلطان والامير حسن . هذه الحوادث ما استثارت في لبنان نقمة درزية . فلا تجمعات ، ولا تطوعات ، حتى ولا تلغرافات .

والذي يريد ان يسير نحو القوة عن طريق « العائلة » يتناسى ان ليس في بلادنا عائلة واحدة غير منقسمة على نفسها ، واشهى ما عند الواحد منها ان يفنى قريبه . وان العشيرة كذلك لم تعد موجودة . وان « القرية » لا تجمع على امر عظيم ، إلا اذا كان هذا الامر العظيم من منافع العيش كطريق او اعانة لبلدية . فليس في لبنان اليوم ضيعة تثور اذا احتل اليهود جبل عامل مثلاً .

والذين لا يزالون يتطلعون نحو الغرب هم كذلك يحومون على جزيرة غرقى . ففي الماضي جسدت الدول الغربية احلامنا للانعتاق من الاستعمار التركي ولكن الاجانب خدعونا مرتين الاولى حين استعمرونا بعد تحررنا من الاتراك ، والثانية حين سلموا بعض بلادنا لليهود . فكل تطلع اليوم نحو اية دولة اجنبية هو – في ابسط مظاهره – تحويم فوق جزيرة غرقى . بعض الروم

الارثوذكس، في بعض المناطق ، ينشدون العون الروسي متوهمين ان روسيا هي حصن الطائفة الارثوذكسية .

ان بلادنا في سيرها الحضاري انسلخت عن شيء ولا تزال تفتش عن شيء . هي اليوم في هوة لانها في فجوة .

ان انطون سعاده لم يكتشف شيئاً جديداً حين بشر بالقومية. كل ما فعل انه نادى بها عارية عن الاوهام . لذلك اصطدمت الحقيقة بالاوهام. والاوهام هي لذة عقلية وخدر لا يريد الضعيف، ويصعب عليه ، ان يتخلى عنه . وانها لحقيقة علمية ان الاقلاع عن المخدرات يتحدى قوة جبارة في النفس ويعرض المقلع عنه — في بادىء الامر — الى صداع في الرأس شديد .

والمواطنون في بلادنا ان لم يعزموا على التخلص من الاوهام وينشدوا التعسكر في النظام الجديد ، فسيستمرون يحومون فوق الجزيرة الفرقى، عصائب طير بعضها يزقزق، وبعضها ينعب ، وهي في تجمعها واستعراض اسرابها والوانها تحسب القوة في مجرد تجمعها وضجيجها ، وعددها ، وتتوهم الاقتدار في الظل الذي ترميه على المياه .

وضعفنا اليوم هو في اننا ضجة وأظلة على مياه طمرت شيئاً الى الابد اختفى ، لان الحضارة فيما تبني الاشياء هي تطمر الاشياء .

كتب للمؤلف

لولا المحامي		١٩٢٤
قضي الامر	(اتلفت)	١٩٢٥
نخب العدو		١٩٤٦
حفنة ريح		١٩٤٨
غابة الكافور		١٩٥٠
المنبوذ		١٩٥٣
ربيع الخريف		١٩٥٤
سيداتي سادتي		١٩٥٥
تبلغوا وبلغوا		١٩٥٥

تحت الطبع

غبار البحيرة

obeikandl.com